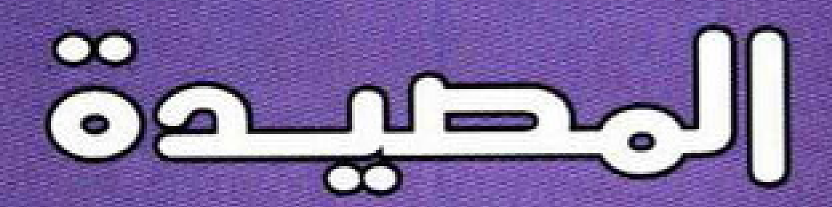
أكثر الروايات مبيعاً فى العالم

أجاثا كريستى



مكتبة النافذة

الفصل الأول

كان الجو ممطراً وشديد البرودة والشمس تختبئ خلف السحب والغيوم.

وكان أحدهم يرتدى معطفاً ذا لون أسود داكن وحول عنقه التفت كوفية من الصوف الخالص، وقد أسدل قبعته على أطراف جبينه وهو يمشى ببطء فى شارع (كالفر) وحين أبصر الرجل لوحة المنزل رقم ٧٤ توقف أمامه لحظة ثم سرعان ما صعد على درج السلم، وراح يضغط على زر الجرس بينما كان رنينه يسمع فى الطابق الأرضى.

أما مسز كاسى فقد كانت مشغولة فى غسيل أوانى المطبخ فهتفت فى غيظ وقالت:

– آوه اللعنة على هذا الجرس.. إنه لا يتوقف عن الرنين ولا يتركنى أستريح قليلاً.

غادرت المطبخ وصعدت السلم الداخلى، واتجهت نحو الباب وفتحت، فظهر لها الرجل وكأنه يشبه شبحاً من الظلام.

بادرها الرجل قائلاً بصوت هادئ:

- هل أنت مسز ليون؟

فأجابت مسز كاسى:

- إنها فى الطابق الأعلى وبمقدورك أن تصعد إليها..
ثم دعنى أسألك.. هل أنت على موعد معها؟

فهز الرجل رأسه إيجاباً ببطء.

قالت مسز كاسى:

- على أية حال اصعد السلم واطرق بابها.

وانطلق متجهاً إلى حيث أشارت، وقد شيعته بنظراتها ثم هزت رأسها وقالت:

- يبدو أنه أصيب ببرد شديد وإلاما كان صوته ضعيفاً هكذا، ثم من الذى ينجو من هذا البرد الرهيب؟

وحين صعد الرجل عدة خطوات راح يدندن فى هدوء مقطوعة موسيقية لإحدى الأغنيات الشهيرة التى يقول مطلعها:

ثلاثة جرذان عمياء

تأمل كيف تجرى؟

تراجعت مولى دافيز عدة خطوات للوراء، فوقعت

عيناها على لافتة جديدة كانت محفورة بتلك الكلمات «فندق قصر مانكسويل»

لكنها لم تستطع مقاومة شبح الابتسامة التى ارتسمت على وجهها.

كانت اللافتة تبدو وكأنها نتاج مهارة فنان رائع وإن كان حرف (القاف) فى كلمة قصر كان أعلى من السطر قليلاً بينما كانت حروف (مانكسويل) تبدو وكأنها فى حالة شجار وإن كانت اللافتة بدت لناظريها مقبولة.

تذكرت مولى زوجها فابتسمت مرة أخرى.

وما من شك أن جايلز يستحق التهنئة على أية حال حيث إنه قد أنجز مهمته على أكمل وجه.. رغم أنه لم يسبق له كتابة اللافتات فى أى وقت مضى.

إنه لم يتحدث كثيراً عن نفسه، ومع هذا فهى تكتشف كل يوم شيئاً جديداً بداخله حتى تأكدت إنه إنسان متعدد المواهب فهو يستطيع القيام بأداء أعمال كثيرة مختلفة.. لا غرابة فى ذلك لقد كان جندياً سابقاً فى سلاح البحرية والمعروف عن رجال البحر حيويتهم ونشاطهم وهمتهم على كل حال فإن جايلز كل مهارته وقدراته فى مغامراتهما الجديدة.

إنها واثقة من أنه لا يوجد أحد فى هذه الدنيا يجهل مهنة الفندقة وأعمالها مثلها هى وجايلز.

ولكن تلك المغامرة سوف تكون فى الغالب شيئاً مسلياً وهى بالنسبة لهما فقد حلت مشكلة المسكن بطريقة حاسمة.

لقد كانت هى التى تملك المشروع.. فعندما ماتت عمتها كاترين وكتب إليها أحد المحامين ليخبرها بأن عمتها كاترين قد أوصت لها بقصر مانكسويل فكرت هى وزوجها فى الحال فى بيع القصر.

سألها جايلز:

- ما هو شكله؟

فأجابته: إنه قصر فخم وكبير ورائع من الطراز العتيق وهو مكتظ بالأثاث الأنيق كما تحيط من حوله حديقة كبيرة وساحرة غير أن هذه الحديقة قد تعرضت للإهمال حتى ترعرت فيها الأعشاب والنباتات المتسلقة إلى أن صارت تشبه الأدغال، ويعود ذلك إلى أن عجوزاً يعمل فى تنسيق الحدائق هو الذى تولى الإشراف عليها والعناية بها.

وربما كان هذا أحد أسباب قرارها التاريخى لعرض

القصر للبيع.. مشترطة أن يحتفظا ببعض الأثاث الذى يكفى لتأثيث شقة بسيطة ومتواضعة، ولكن هناك عقبتين حالتا دون تنفيذ هذا، الأولى أنهما يرغبان الإقامة فى كوخ صغير أو شقة صغيرة وهما لم يعثرا على أى منهما، أما الثانية فقد كانت قطع الأثاث ضخمة تتطلب ضرورة العثور على شقة كبيرة المساحة إلا أن الشقق الحديثة يتصف أغلبها بضيق المساحة.

قالت مولى أخيراً:

- أرى أن خلاصنا والحل المناسب لنا هو بيع القصر وأثاثه وبمقدورنا الحصول على ثمن مغر.

ولقد أقسم لها المحامى أنه يستطيع أن يبيع كل ما يرغبون فى بيعه بأسعار عالية خاصة وأن الحرب قد توقفت وعادت عجلة البناء من جديد.

فقال جايلز:

- إذن من الجائز أن نعثر على مشتر يحوله إلى فندق خاصة إن القصر فى حالة جيدة ،وليس فى حاجة إلى ترميمات، ولقد تولت صاحبته ترميمه وطلائه، وأدخلت عليه بعض التعديلات.. نعم إنه بحالة رائعة وممتازة.

وهنا لمعت الفكرة وتخمرت فى رأس مولى فقالت:

- آوه لماذا لا نفكر نحن فى هذا الأمر يا جايلز؟ إننا نستطيع أن نحوله إلى أحد الفنادق لاستغلاله وتوظيفه بشكل مفيد.

وسخر جايلز من الفكرة فى البداية، ولكن مولى ألحت كثيراً وقالت:

- لسنا فى حاجة إلى قبول نزلاء كثيرين حيث إن إدارة الفندق لن تستدعى بذل جهود كثيرة خاصة وأن الغرف مزودة بالماء البارد والساخن كما أن القصر يحتوى على جهاز خاص بالتدفئة إلى جانب وفرة أنابيب غاز للطهو ويمقدورنا أن نزرع الحديقة بأجمل الأوراق والزهور ثم إننا سنعتنى بتربية الدجاج والبط لنحصل على ما نحتاجه من البيض واللحوم.

- لكن من الذى سيتولى إنجاز كل هذه الأعمال؟ إننا نعيش الآن أزمة خدم ألا تعلمين ذلك؟

- أعرف ذلك تماماً ولهذا أرى أن نتولى نحن بأنفسنا إنجاز تلك المهام.. إننا سنفعل ذلك إذا أقمنا فى شقة خاصة بنا أو فى كوخ يضمنا فلو أن عددنا قد تضاعف فلن

يغير ذلك فى الأمر شيئاً.. ربما سنحتاج لفتاة تساعدنا ولكن دع البداية لنا لنعمل بأنفسنا دون معونة من أحد ولنفرض أن أقبل إلينا خمسة نزلاء ودفع كل منهم سبعة جنيهات فى الأسبوع....

* * * * *

طارت مولى بأجنحتها فى عالم الخيال وشعرت بالتفاؤل وراحت تحول أحلامها وخيالاتها إلى لغة من الأرقام الصماء فاكتشفت أن الربح القادم يدفعها للحماس والإقبال على المغامرة دون تردد.

وأخيراً قالت:

- لا تنسَ يا جايلز أننا سنكون معاً فى بيتنا.. نحن الآن نعيش فى غرفة مفروشة وندفع أجرها كل أسبوع فإذا لم نتمكن من استغلال تلك الفرصة فقد تمر علينا عدة سنوات قبل أن يصير لنا بيت خاص.

وأدرك جايلز أنها على حق حيث تم زواجهما فى لمح البصر وعاشا منذ ذلك الحين فى غرفة مفروشة وفى بيت

ملئ بالنزلاء ولم يتمتعا أبداً بالحياة الزوجية بمعناها الصحيح.

لقد عاشا معاً وكأنهما فى ثكنة عسكرية.. حيث يتناولان الطعام فى مواعيد ثابتة لا تتغير طبقاً للمواعيد التى حددتها صاحبة البيت ولا يستطيعان الاحتجاج على أصناف الطعام.

* * * * *

من هنا بدأت خيوط المغامرة الكبرى، فقد أعلنا فى جريدة التيمس البريطانية عن موعد افتتاح قصر مانكسويل وتلقيا خطابات من العديد من الأشخاص يرغبون فى الإقامة بالفندق.

وجاء يوم الافتتاح ووقفا معاً ينتظران قدوم النزلاء حيث اتجه جايلز بسيارته فى ساعة مبكرة لشراء أسلاك من بقايا الجيش وقد أعلن عن بيعها فى إحدى المدن القريبة، بينما أسرعت مولى إلى القرية المجاورة لشراء بعض لوازم الفندق.

كانت الأمور تسير على ما يرام غير أن الجو كان بارداً والسماء ملبدة بالغيوم فى اليومين الأخيرين وراح الجليد يتساقط ساعة بعد أخرى.

وأسرعت مولى فى خطاها.. والبرد يقرص كتفيها ويعض شعرها الأصفر الرائع.

كانت منهكة فى متابعة نشرة الأرصاد الجوية خاصة وأن أخبارها فى الصباح لم تكن تروق لها، حيث تنبأت الأرصاد أن البلاد ستشهد عاصفة ثلجية بعد ساعات وها هى بدأت فى التساقط.

إن كل ما ترغب فيه مولى الآن هو ألا تتعرض المياه داخل الأنابيب للتجمد والتجلد.

وهتفت فى نفسها «ما أسوأ تلك البداية» ونظرت مولى إلى ساعتها وصاحت:

- لقد فاتنى موعد تناول الشاى؟

ترى هل عاد جايلز بعد أن أدى مهام عمله؟ ولكن ماذا عن احاسيسه ومشاعره حين راح يبحث عنها فى الفندق ولم يجدها؟

فى الواقع لم تكن قد أخبرته بعزمها على الذهاب إلى القرية.. وبالطبع فسوف يبادر بسؤالها أين كانت؟ وستجيبه:

- كان ينبغى أن أذهب إلى القرية لشراء حاجيات كنت قد نسيتها.

وسوف يقول ضاحكاً:

- أتيتِ بمزيد من المعلبات طبعاً.

ثم يضحكان معاً مرة أخرى.

* * * * *

أما المعلبات فقد كان موضع دعابة بينهما دائماً.. فهما يبحثان فى الغالب عن الأطعمة المحفوظة بكافة أنواعها المختلفة وقد اشتريا الكثير منها حتى لا يتعرض الفندق لأزمة طعام.

وبالنسبة للزيوت والدهنيات فقد توافرت لديهما كميات كثيرة لمجابهة أية حالة طوارئ.

وتأملت مولى السماء وهى تقطب حاجبيها وكان واضحاً أن الطوارئ على الأبواب.. وأنها ستنقشع غيومها فى وقت قصير وسريع.

ولاحظت مولى أن الفندق خالٍ حيث كان جايلز قد تخلف عن الحضور.

ذهبت إلى المطبخ ثم صعدت درج السلم وألقت نظرة خاطفة على غرف النوم التى فرغت من إعدادها مؤخراً لقد تم الاتفاق بينها وبين جايلز على أسلوب توزيع النزلاء على الغرف حيث إن مسز بويل ستقيم فى الغرفة الجنوبية التى تغطى أخشاب الأرو جدرانها، أما بخصوص الماجور متكالف فسوف يقيم داخل الغرفة الزرقاء، أما مستر رين فسوف يعيش فى الغرفة الشرقية ذات النافذة الواسعة، أما باقى الغرف فهى أنيقة ونظيفة للغاية.. فما أروع العمة كاترين التى تركت لنا كمية وفيرة من البياضات والمفروشات تكفى حاجة الفندق لسنوات قادمة.

وقامت مولى بتنظيم بعض قطع الأثاث وبعدها قصدت الطابق الأرضى والليل قد أسدل أستاره حتى بدا الفندق خاوياً خاصة وأنه يقع فى مكان منعزل عن الناس، فهو يبعد نحو ميلين عن أهالى القرية الأمر الذى أثار شجون مولى لكراهيتها للوحدة والعزلة.

راحت حبات الجليد المتساقط تدق بقوة زجاج النوافذ

فتلاطمت الخواطر فى رأسها كأمواج هادرة، وقد سألت نفسها.. ماذا لو لم يعد جايلز؟ فماذا لو تعطلت سيارته بسبب غزارة الأمطار الثلجية وظلت وحيدة فى الفندق؟ وأمام تلك الخواطر المزعجة التى تراودها.. اتجهت إلى قاعة المطبخ وطافت حوله، وكان فى الواقع مطبخًا واسعاً يحتاج إلى طاهية رائعة وعدد من المساعدين لها تخيلت مولى وجود مائدة ضخمة تتوسط المطبخ تتصدرها طاهية كبيرة الجسد ترتشف الشاى الأسود وتأكل كعكة طازجة وحولها عدد لا بأس به من خدم الفندق من بينهم فتاة جميلة الوجه تتولى الإشراف على تنظيم الغرف، وأخرى تعتنى بالنظافة وثالثة تساعد الطاهية فى أعمال المطبخ، وبستانى شاب يعمل فى الحديقة ليعيد إليها رونقها وبهاءها وحياتها.

ولكن هذه الصورة الخيالية سرعان ما تبخرت حيث وجدت مولى دافيز نفسها بمفردها فى داخل المطبخ الواسع الفسيح، وقد شعرت فى الحال أنها تلعب دوراً غير مؤهلة له وأن كل شئ بات أمامها غير طبيعى، وفجأة.. رأت ظلاً يمر بالنافذة.. فرقص قلبها طرباً وفرحاً.. ها هو أحد النزلاء حضر للإقامة لدى فندقها ثم سرعان ما ترامى

لسمعها صوت غريب ينبعث من ناحية باب المطبخ.. وأسرعت تفتح الباب لتجد أمامها رجلاً غريباً راح يهز معطفه بيده ليتخلص من قطع الجليد المتساقط وتقوقعت مولى فى مكانها ولكنها اكتشفت هوية هذا الرجل الغريب فى الحال حيث صاحت فى سرور وقالت:

- جايلز ما أروعك.. لقد افتقدتك كم أنا سعيدة لعودتك.

وشعر جايلز بالدهشة حيث لم يكن يتوقع وجودها فى المطبخ فصاح قائلاً:

- مولى!! ماذا تفعلين هنا فى هذا الظلام..؟

وضرب الأرض بقدميه فى محاولة منه لإزالة قطع الثلج عن حذائه، وراح يفرك كفيه فى همة ثم خلع معطفه وألقى به على أحد المقاعد فأخذته مولى وأخرجت من جيوبه إحدى الصحف المطوية إلى جانب حزمة من الخيوط وبعض الخطابات التى وردت إليهم، وألقت بكل ذلك على مائدة المطبخ ثم تفرغت لإعداد أقداح الشاى وسألته:

- هل اشتريت الأسلاك؟ إننى شعرت بالقلق عليك؟

فأجابها :

– لم تكن الأسلاك جيدة وبحثت عن غيرها فى متاجر المخلفات إلا أننى فشلت فى العثور عليها، ولكن أخبرينى ماذا حدث لك فى غيابى؟ أظن أن أحداً من النزلاء لم يحضر بعد؟

– نعم فأنت تعلم أن مسز بويل ستحضر فى صباح الغد.

– ولكن الماجور متكالف ومستر رين كان ينبغى عليهما الحضور اليوم.

– لقد بعث الماجور برقية يخبرنا فيها بحضوره غداً.

– إذن فلن يكون معنا الليلة سوى مستر رين ترى من يكون هذا الرجل؟ أتظن إنه موظف متقاعد؟ هل لديك معلومات عنه؟

– أظنه فنان.

– إذن فى هذه الحالة ينبغى أن نتقاضى منه أجر أسبوع مقدما أليس كذلك؟

– كلا كلا .. يا جايلز. إن النزلاء يحضرون

بحقائبهم. فإذا عجزوا عن سداد قيمة الإقامة حجزنا على أمتعتهم.

– ولكن لنفرض أن الحقائب تحتوى على حجارة ملفوفة بورق صحف فما هو الحل؟

الحقيقة يا مولى إننا نجهل العديد من الأسرار والمفروض الا يشعر نزلاء الفندق بهذا الجهل وإلا فقدنا أشياء كثيرة.

فقالت مولى :

– أنا متأكدة من أنك ستشعر إن مسز بويل من هذا النوع الفضولى الذى يدس أنفه فى كل شئ.

– آوه لماذا تزعمين ذلك؟ هل تعرفينها من قبل؟

لاذت مولى بالصمت ولم تجب بل راحت تنشر إحدى الصحف على المائدة، وأحضرت قطعة من الجبن أضافت إليها بعض البطاطس المسلوقة بالإضافة إلى كسر من الخبز فسألها جايلز :

– ما هذا ..؟ ماذا تفعلين؟

– سأطهو أحد أنواع الفطائر التى يتصف بها أهل ويلز.

– آوه يبدو أنك طاهية بارعة !!

- على أية حال لا داعى للتفاؤل فأنا أعرف مكوناتها لكن أجهل مقاديرها من الجبن والبطاطس والخبز.

وسكتت قليلاً ثم قالت:

- إننى لا أشعر بالخوف سوى من وجبة الإفطار.
- لماذا؟
- لأنها تحتم عليك إعداد أشياء متعددة فى وقت واحد البيض والجبن واللبن والقهوة والتوست، واللبن يفور منك والتوست قد يحترق ويجف البيض، إن إعداد وجبة الطعام يحتاج إلى سرعة ونشاط.

فقال جايلز مبتسماً :

- سوف أقف معك صباحاً لأرى كيف تواجهين هذا الموقف الصعب؟

هتفت مولى وقالت:

- إن الماء يغلى.. هل نتناول الشاى فى قاعة المكتبة لكى نستمع إلى الراديو؟ اظن أن موعد نشرة الأخبار قد حان.
- من الواضح أننا سنقضى وقتاً طويلاً بالمطبخ ولذا يحسن بنا أن نشترى راديو آخر لنضعه فى المطبخ.
- ما أروع العمل فى المطبخ.. إننى عشقت هذا المطبخ

بالذات ،وأظن إنه أجمل مكان فى هذا القصر ليتنى أتمكن من استغلاله بما يتناسب مع مساحته.

- لكنه يستهلك من الوقود ما كنا نستهلكه فى عام.
- هذا صحيح ولكن لنفكر فى الفطائر اللذيذة وأصناف الطعام المختلفة وأساليب الشواء اللذيذ.
- هذا ترف لا نستطيع القيام به الآن.. هيا بنا نسمع نشرة الأخبار.

كانت نشرة الأخبار تتحدث فى بدايتها عن أحوال المناخ وتطورات الطقس ومتغيراته إلى جانب المحاذير من العواصف الثلجية، ثم تناولت النشرة بعد ذلك الموقف الدولى العاصف ومناقشات مجلس النواب وجريمة قتل حدثت بشارع كالفر.

قالت مولى وهى تغلق الراديو:

- لا شئ يستحق الذكر والاهتمام.. كلها أنباء سيئة..

وأراهنك أن المذيع لن يمل من القول عن ضرورة الاقتصاد فى استخدام الوقود ماذا يريد هؤلاء الناس؟ هل نطفئ المواقد حتى تتجمد أطرافنا؟ أظن أننا تعجلنا فى موعد

افتتاح الفندق فى هذا الجو البارد، كان يحسن بنا أن نفتتحه فى الربيع القادم.

ثم أردفت مولى تقول:

- ترى من هى تلك السيدة المسكينة التى قتلوها فى شارع كالفر؟

- مسز ليدن.

- هل كان هذا اسمها؟ ترى من القاتل؟ ولماذا قتلها؟

- ربما كانت تملك ثروة هائلة فى شقتها.

- حين يتحدثون فى الصحف والإذاعات عن إحدى الجرائم ويزعمون أن البوليس يرغب فى مقابلة أحد الأشخاص الذين كانوا بالقرب من مكان الجريمة فهو يعنى أن هذا الشخص هو القاتل؟

- طبعا هم يظنون ذلك؟ وهذه هى أساليب رجال الشرطة المعروفة .

أثناء ذلك رن جرس الباب الخارجى فجأة فهز رنينه سكون المكان وابتسم جايلز وتحدث بطريقة سينمائية.

- آوه هذا هو جرس الباب الخارجى. . لقد أقبل القاتل.

فابتسمت مولى وقالت:

- هيا أسرع. . لابد أنه مستر رين. . سنرى الآن من منا أقرب إلى الحقيقة فى ظنونه وتوقعاته.

الفصل الثانى

تسلل مستر رين مسرعاً ومن ورائه عواصف صاروخية من الهواء والريح الشديد، وقد وقفت مولى بباب قاعة المكتبة تراقب القادم ولكنها لم تلاحظ منه سوى ظلاً خفيفاً على صفحة بيضاء يحيط بها إطار الباب وهو نفس المشهد الذى لاحظته حين أقبل جايلز من الخارج وقالت لنفسها:

– آوه إن أغلب الرجال متشابهون فيما يرتدون معاطفهم وقبعاتهم وكوفيتهم.

وضع مستر رين حقائبه على الأرض ورفع الكوفية الملفوفة حول عنقه وألقى بقبعته جانباً وراح يقول:

– ما أبشع هذا المناخ السئ. . إنه شتاء إنجلترا اللعين لابد أن يتحلى الإنسان برحابة الصدر حتى يستطيع تحمل هذا الجو السئ. . أليس كذلك؟ إن رحلتى من مقاطعة ويلز إلى هنا كانت فى تقديرى من أسوأ الرحلات التى قمت بها منذ أن ولدت وحتى الآن. . هل أنت مسز دافيز. .؟ أوه إننى سعيد لهذا اللقاء.

ثم شد على يدها وأردف يقول:

- إنك على عكس ما كنت أتصوره تماماً.. فقد كنت أتخيل أننى سألتقى مع أرملة أحد المحاربين القدامى لا هم لها سوى الحديث عن حروب الإنجليز ومستعمراتهم فى الهند.. هل فى حوزتك زهور صناعية وطيور زينة؟

- كلا..

- الحمد الله أعتقد أننى سأميل للبقاء هنا فقد كنت أخشى أن أجده قصراً بالياً من القصور الأثرية العتيقة، يبدو فى رأى قصرا جميلاً رائعاً شيد على طراز الملكة فيكتوريا شأنه شأن البيوت الحديثة العصرية، ولكن هل يوجد لديك شئ من الأثاث القديم المصنوع من الأخشاب الثقيلة ومحفورة عليه نقوش جميلة تعبر عن أنواع الفواكه أو ما شابه ذلك؟

كان الرجل يتحدث بطلاقة وسرعة كمسدس سريع الطلقات حتى تصورت مولى أنه لن يكف عن الكلام.

وحين لاذ بالصمت تنفست الصعداء وقالت فى هدوء:

- الحقيقة إن فى حوزتى بعض قطع من الطراز الذى ذكرته.

- أهذا صحيح؟ هل يمكن أن أراها حالاً؟

- نعم هى فى قاعة الطعام.

ونظرت إلى باب البهو، فأسرع إليه مستر رين وفتحه ثم دلف منه وأضاء النور ثم تبعته مولى والتفتت ناحية زوجها ورأت فى عينيه نظرة استياء وضيق، أما مستر رين فقد لاحظ فى صدر قاعة الطعام دولابا كبير الحجم رائع الصناعة تزينه قوائم منقوشة جميلة حفرها صانعها من الخشب العتيق والدولاب كان مكتظاً بأدوات الطعام.

وحين دخلت مولى القاعة شاهدت مستر رين يتجه بسرعة ناحية الدولاب وقد بدت عليه علامات الدهشة والذهول ثم لاحظته يتحسس النقوش فى هدوء كأنه يداعب حيواناً أليفاً أو عصفور كنارى حتى أنها سمعته يهتف من أعماقه.

- آوه.. رباه.. إنها قطعة فنية رائعة وعجيبة.

بعد أن فرغ من رؤية الدولاب ألقى ببصره فى أنحاء القاعة، ثم قال لمولى وهو يتأملها فى أسى:

- هل توجد لديك مائدة طعام كبيرة تتوائم مع هذا الدولاب الرائع؟ ثم هل قمت باستبدالها بهذه الموائد الصغيرة المبعثرة فى أرجاء القاعة؟

فأجابته مولى:

- ظننا أن الزوار ستروق لهم تلك الموائد.

- أعتقد إنك على حق يا عزيزتى.. ولكن أريد فقط أن أعبر عن إعجابى وامتنانى بالأثاث القديم.. ومن الطبيعى لو كانت هناك المائدة الكبيرة لوجب استكمالا للصورة الصغيرة.. أقصد أسرة مكونة من أب حازم تتدلى لحيته على صدره وأم أهلكها الزمن وأحد عشر ابناً وابنة ومربية حازمة.. وفتاة صغيرة من إحدى فروع الأسرة تساعد فى جميع الأعمال وتعتبر نفسها فى غاية السعادة إذا هى عثرت على بيت كريم يضمها.. انظرى إلى هذا الموقد الجميل وتخيلى ألسنة النار وهى تتطاير منه وتشع وهجاً على ظهر رب الأسرة.

فقال جايلز وقد استبد به الضيق من هذه الثرثرة قائلاً:

- سوف أحمل حقيبتك إلى غرفتك.. أقصد الغرفة الشرقية.. أليس كذلك يا مولى؟

- نعم.

وحمل جايلز الحقيبة وصعد بها درج السلم بينما ترك مستر رين قاعة الطعام وعاد إلى البهو، وسأل:

- هل يوجد فى فراشى أربعة أعمدة طويلة؟

فقال جايلز أثناء صعوده على درج السلم:

- كلا..

فالتفت إلى مولى وقال:

- لا أعتقد أن زوجك سيحبنى.. ماذا كان عمله؟ هل كان زوجك فى سلاح البحرية؟

- نعم.

- ذلك ما توقعته حيث إن رجال البحرية يتصفون بصلابة وعناد وتحد أكثر من رجال الجيش والطيران.. هل أنتما متزوجان منذ سنوات؟ ثم هل تحبينه كثيراً؟

- لعلك تريد رؤية غرفتك.

- طبعاً.. طبعاً.. أتصور أن أسئلتى كانت تفتقد الذكاء إلا أننى فى الواقع أحب أن أعرف كل معلومة.. إنه أمر مثير أن يحصل الإنسان على أكثر المعلومات أليس هذا صحيحاً؟ إننى أتطلع دائماً لاستكشاف ما يدور فى أذهان الناس وكيف يتخذون قرارتهم ولا أكتفى بمعرفة من هم وماذا يعملون إنما..

فقاطعته مولى وقالت فى سخط:

ألست أنت مستر رين أم أنك شخص آخر؟

فتجمد الشاب فى مكانه ثم صاح قائلاً فى غضب:

- إن هذا أمر يثير مخاوفى حقاً. . نعم أنا سيدتى اسمى كريستوفر رين وأرجو منك ألا تسخرى فقد كان والدى رجلاً ذا خيال ثرى وكان يتمنى أن أتخرج مهندساً ولذلك أسمانى كريستوفر. . وذلك تقديراً منه وإعجاباً بالمهندس المعروف كريستوفر رين.

فقالت مولى وهى تقاوم الابتسام:

- وهل أنت مهندس؟

فأجاب بلهجة النابغة

- نعم أنا مهندس. . أو ربما أكاد أكون كذلك. . ولكنى لست مؤهلاً تماماً غير انى بالنسبة لأبى أمثل له حلماً قد تحقق والواقع أننى أتصور أن اسمى سيكون عقبة فى طريق نجاحى لأننى لن أكون أبداً مثل كريستوفر رين، ولكن ما يدرينى؟

فى تلك الأثناء عاد جايلز فقالت مولى:

- هيا لترى غرفتك يا مستر رين.

وذهبا معاً لمشاهدتها وعادت مولى بعد دقائق حتى بادر جايلز بسؤالها قائلاً:

- هل طاب له أثاث الغرفة؟

- لقد أصر على أن يكون على فراشه أربعة قوائم طويلة ولهذا اضطررت لاصطحابه إلى الغرفة الوردية.

فقضم جايلز شفته وغمغم قائلاً:

- آوه يا له من غبى مجنون.

فقالت مولى فى غضب:

- اسمعنى جيداً يا جايلز. . إن هؤلاء الناس ليسوا ضيوفنا وليسوا مدعوينا إلى سهرة أقمناها لهم. . لكنهم فى الواقع نزلاء فى الفندق. . وهذا عمل وعلى أية حال سواء راق لك كريستوفر أم نال سخطك فإن. .

فقاطعها جايلز:

- إنه لا يروق لى بحال من الأحوال.

- هذا أمر لا يفيد لا تنسَ أنه سيدفع سبعة جنيهات كل أسبوع وهذا هو أهم ما فى الأمر.

- ذلك إذا صدق وعده ودفع.

- لقد أقر برغبته فى سداد المبلغ ولدينا خطاب يذكر ذلك.

- هل نقلت حقيبته إلى الغرفة الوردية؟

- لقد نقلها إلى هناك.

- يا له من شاب شهم لقد اعتقدت أنه تركها لك تحملينها ومهما كان الأمر فإن حملها لن يرهقك.. إنها خفيفة حتى أكاد أظن أنها خاوية.

فقالت مولى فى حذر

- اسكت.. إنه قادم.

واصطحبته مولى إلى قاعة المكتبة، وكانت قاعة واسعة جميلة بها مقاعد كبيرة ومدفأة تشتعل فيها النيران وأثناء ذلك أخبرته أن العشاء سيكون جاهزاً بعد نصف ساعة من الآن ثم اجابت على أسئلته بقولها إنها لا تتوقع قدوم نزلاء آخرين هذه الليلة.

فقال الشاب:

- مادام الأمر كذلك فبمقدورى أن أساعدك فى طهى الطعام.

وانتقل معها إلى المطبخ وراح كل منهم يقوم بما يرغب

فى إعداده إلا أن الزوجين أدركا أن هذه بداية غير موفقة ثم بعدها توجها إلى غرفة النوم واستلقيا على الفراش بينما صاح جايلز يقول:

- سوف تختلف الأمور غداً حين يتوافر لدينا باقى النزلاء.

الفصل الثالث

أقبل الغد بمناخ أشد سوءاً من الأمس حيث بدت بدأت والثلوج تتساقط دون توقف.

وقطب جايلز حاجبيه وكاد قلب مولى ينخلع من بين ضلوعها إن الجو سوف يضاعف من تعقيد الأمور وربما يفسد كل شئ وجاءت مسز بويل بواسطة سيارة أجرة. .

وتحدث السائق عن الجو وجبال الجليد التى عرقلت السير طوال الطريق، وهمست فى نفسها قائلة: يإن عرقلة المواصلات أمر يدعو للتشاؤم.

وعاد السائق يقول:

- أكبر الظن إن تلك العاصفة الثلجية سوف تتزايد قبل هبوط الظلام حيث إن جميع المؤشرات تؤكد سوء حال الجو.

* * * * *

فى الواقع أن وجود مسز بويل قد ضاعف من حجم

التشاؤم خاصة وأنها امرأة ضخمة الجسم عابسة الوجه تتحدث بصوت يثير الجلبة والفوضى ويقطع الهدوء حيث تتكلم دائماً بلهجة الأمر وكأنها جنرال عسكرى.

والواقع أنها كانت فى الماضى تشغل العديد من المناصب العسكرية فعلاً حتى ظننت أنها لا تزال على وضعها القديم.

قالت وهى تنظر حولها فى ضيق:

- لو إننى علمت أن هذا الفندق حديث العهد لما جئت إلى هنا أبداً.. لقد ظننت إنه فندق عريق تتولى إدارته مجموعة من الخبراء والعباقرة الإداريين.

فقال جايلز:

- إذا كان المكان لا يناسبك فلا يوجد سبب يدعوك للإقامة فيه رغم أنفك.

- طبعا لا أظن أننى ملزمة بالإقامة فيه.

- هل أتصل تليفونياً بمن يرسل إليك إحدى سيارات الأجرة يا مسز بويل؟ إن الجليد لم يعرقل كل الطرق على أية حال فإذا كان قد حدث لبس أو غموض فيمكنك الذهاب إلى أى مكان آخر.

فأمطرته بنظرات قاسية وقالت:

- لن أترك المكان قبل أن أختبره.. هل لك يا عزيزتى أن تأتى بمنشفة كبيرة للحمام يا مسز دافيز؟

- إننى أميل دائماً إلى المناشف الكبيرة.

فابتسم جايلز ومضت مسز بويل إلى غرفتها وراحت مولى تقول لزوجها:

- خير ما صنعت يا زوجى العزيز.. إنك أجدت معاملتها.

- إن المتكبرين من أمثال تلك السيدة ينبغى معاملتهم بالمثل.

- إننى لا أعرف كيف ستتعامل مع شاب مثل كريستوفررين.

وحدث فعلا بعد ظهر ذلك اليوم أن تحدثت مسز بويل مع مولى بطريقة فجة حيث قالت:

- هذا الذى يسمى كريستوفر رين أتصور إنه شاب غريب الأطوار.

وجاء الخباز وهو يرتدى من الثياب وكأنه مكتشف القطب

الشمالى وقدم لمولى حاجتها من الخبز، وعبر لها عن شكوكه فى قدرته على تلبية مطالبها فى موافاتها بالخبز كل يومين حيث قال لها فى أسف:

- أن الجليد يسد الطريق ويواصل ارتفاعه ساعة بعد ساعة ولذا أرجو أن يكون لديك منه ما يكفى.

فقالت مولى:

- لدينا فى الحقيقة كمية من المعلبات.. وأعتقد أن الأفضل أن أختزن بعض الدقيق لأصنع منه خبزاً.

وكان الخباز قد أحضر لها المجلات والجرائد فقامت بتوزيعها على الموائد.

لم يكن فى الصحف أنباء سياسية تلفت الانتباه، وربما كانت أنباء الطقس السئ هى التى تتصدر عناوين الصحف إلى جانب تفاصيل دقيقة عن حادث مقتل مسز ليون.

كانت مولى تتأمل صورة مسز ليون فى الجريدة حين سمعت صوت كريستوفر رين خلفها يقول:

- جريمة بشعة.. أليس كذلك؟ امرأة مسكينة تعيش فى شارع فقير.. من الصعب أن يكون وراء مثل هذه الجريمة قصة مثيرة.

علقت مسز بويل فى سخط:

- لا شك أنها نالت جزاءها الذى تستحقه.

فنظر إليها كريستوفر رين بحدة وقال:

- تقصدين أنها جريمة جنسية؟

- لم أعن شيئاً من ذلك إطلاقاً.

- لكنها قتلت خنقا أليس كذلك؟

ثم بسط يديه الطويلتين إلى الأمام وأردف قائلاً:

- ترى ماذا عن شعور القاتل حين يخنق أحد الأشخاص.

- كفى يا مستر رين.

ولكن كريستوفر تقدم نحوها ببطء وهو لا يزال يبسط يديه إلى الأمام وهو يقول بصوت خافت:

- هل فكرت ذات مرة يا مسز بويل كيف يكون شعور الضحية حين تجد قاتلاً يغرس أظافره فى عنقها؟

فصاحت مسز بويل مرة أخرى فى ضيق وغضب:

- كفاك.. كفاك يا مستر رين.

وأرادت مولى أن تضع حداً لهذا الحديث المخيف الذى

يدور بين مسز بويل وكريستوفر فقرأت فى الصحيفة بصوت عال:

- ويبحث رجال الشرطة عن رجل متوسط الطول يرتدى معطفاً أسود وكوفية من الصوف وقبعة خفيفة.

فضحك كريستوفر وقال:

- كلنا ذلك الرجل.. فمن الذى لا يرتدى معطفاً أسود وقبعة خفيفة داكنة اللون وكوفية من الصوف.

فقالت مولى:

- صدقت.

الفصل الرابع

فتح بار منتر كبير مفتشى إسكتدلانديارد درج مكتبه وأخرج ملفاً وضعه أمامه وقال يحدث المفتش كين:

- أنا على أهبة الاستعداد لمقابلة هذين العاملين يا كين.

- حسناً يا سيدى.

- ما رأيك فيهما؟

- أتصور إنهما رجلان بسيطان من طبقة الكادحين المساكين وأنا أثق بهما.

- حسنا هيا جئنى بهما.

بعد دقيقة دخل الرجلان على كبير مفتشى إسكتدلانديارد وهما يرتديان أجمل ما لديهم من ثياب، وقد بدت عليهما علامات القلق والخوف والإرتباك فرمقهما بار منتر بنظرات سريعة كانت تهدف إلى تقييمها.

وكان الرجل بارعاً فى بث الطمأنينة فى نفسهما وتهدئة روعهما فقال وهو يصطنع ابتسامة عذبة رقيقةك

- هل تظنان أن فى حوزتكما معلومات قد تفيدنا فى

حادث مقتل مسز ليون؟ لقـد أحسنتما صنعاً بقدومكما إلى هنا. تفضلا بالجلوس هل تدخنان؟ وماذا تشربان؟.

وراح يقدم لهـما علبـة التبغ وانتظر قليـلاً حتى أشعلا سيجارتيهما ثم قال:

- إن المناخ شئ للغاية فى الخارج أليس هذا صحيحاً؟

- نعم يا سيدى.

- والآن ماذا عن المعلومات التى تحتفظان بها؟

فنظر الرجـلان كل منهـما إلى الآخـر وزاد ارتباكـهـمـا وأخيراً قال أحدهما، وكان يتميز بقامة طويلة.

- تكلم يا جو.

وتكلم جو وقال:

- سأروى لك ما حدث يا سـيدى.. لم يكن معنا عود ثقاب:

- أين جرى ذلك؟

- فى شارع (جارمان) كنا نعمل معاً فى محاولة تصليح ماسورة الغاز الرئيسية.

فهز بارمنتر رأسه بالإيجاب على حديث جو.

إنه يستطيع الـتأكد من الزمـان والمكان بدقة متناهيـة أما

الآن فهـو لا يرغب فى محاضـرة محدثه بالأسـئلة حتى لا يضاعف من إرتباكه ومخاوفه.

كان يعلم مقدماً أن شـارع (جارمان) يقع على مقربة من شارع كالفر حيث وقعت الجريمة.

فقال مشجعاً لهما:

- نعم.. مفهوم لم يكن معكما عود ثقاب.

- كـانت علبة الـكبريت قـد فـرغت وتعرضت ولاعـة زميلى بيل لـلعطب، ووقع بصرى على رجل يمـر بالشارع بالقرب منا فاستوقفته وقلت له: هل أجد معك عود ثقاب يا سيدى؟ ولم ينتابنى شك فى أمره فقد كان فى نظرى مجرد عابر سبيل شأنه شأن غيره من الناس.

وهنا هز بارمنتـر رأسه مـؤمّناً على مـا يقول وراح جـو يقول:

- وأعطانا الرجل عود ثقاب دون أن يتفوه بكلمة واحدة وقال لى زميلى بيل: إن البرد شديد ورهيب أليس كذلك.

فأجاب الرجل بصوت ضعيف :نعم إنه شديد البرودة.

وقد خيل لى أنه مصـاب بالزكام. وشكرته ورددت إليه علبة الثقاب ومضى فى طريقه مسرعًا.. ثم ناديت عليه..

لم يصل صوتى إليه.. كان هناك دفتر صغير يبدو أنه أخرجه من جيبه فسقط منه دون أن يحس بوقوعه.

ناديته وصرخت قائلا : أيها السيد.. لقد سقط منك شئ ما لكنه لم يلتفت ومضى مسرعاً حتى اختفى عن عينى فى منحنى الطريق.. أليس كذلك يا بيل؟

فقال صديقه بيل:

- نعم.. كان يجرى كالأرنب الخائف.

فعاد جو يقول:

- دخل الرجل شارع (هارو) واختفى من أمامنا ولم يكن بمقدورنا اللحاق به ظناً منا أن الدفتر لم يكن على قدر كبير من الأهمية وليست له قيمة حافظة النقود.. فقلت لصديقى:

- آوه: إنه رجل غريب الأطوار هل لاحظت كيف أخفى قبعته على عينيه حتى نكاد لا نراه وكيف أحكم أزرار ثوبه حتى عنقه كأنه لص من لصوص الأفلام السينمائية؟ ذلك ما قلته لصديقى بيل أليس صحيحًا يا بيل؟

فقال بيل موافقًا:

- نعم.. ذلك ما قلته تماماً.

قال جو:

- أليس عجيباً أن أقول ذلك وأنا لا أعرف شيئاً عن الرجل. كل ما ظننته إنه ربما كان سريع الخطوات لكى يعود إلى بيته هرباً من قسوة البرد.

فقال بيل:

- نعم كان البرد شديداً جداً.

واستطرد جو فى حديثه:

- قلت لصديقى بيل دعنا نلقى نظرة على هذا الدفتر الصغير وتصفحت الدفتر ولم أجد به سوى عناوين أحدهما للمنزل رقم ٧٤ شارع كالفر، والثانى لقصر ذى اسم غريب لا أذكره.

فقال بيل:

- نعم كان اسماً معقداً.

فقال جو فى ثقة:

- حين قرأت العنوان الأول قلت لزميلى بيل:

- شارع كالفر قريب من هنا فدعنا نذهب إليه بعد أن ننجز عملنا لكى نرد إليه دفتره.

وأثناء ذلك وقع بصرى فى إحدى صفحات الدفتر على

كلمة عجيبة فقلت لزميلى: ما هذا يا بيل.. تأمل انظر فتناول بيل الدفتر وقرأ فيه هذه الكلمات «ثلاثة جردان عمياء». فى ذلك الوقت سمعنا صوت امرأة فى شارع قريب تصرخ بصوت شديد الفزع النجدة.. النجدة.

ولاذ جو بالصمت قليلا ثم قال:

- كانت المرأة تصرخ فى استغاثة فقلت لزميلى بيل: اذهب يا بيل وأنظر ماذا حدث، بعد مرور عدة دقائق عاد بيل وأخبرنى أنه رأى حشداً من الناس وبعض رجال الشرطة، وأنه سمع من الكلمات المتناثرة حوله أن هناك سيدة قام أحدهم بذبحها أو قتلها خنقًا، وأن صاحبة الدار اكتشفت الجريمة فصرخت تستغيث.

فسألته:

- وأين وقعت الجريمة؟

فأجاب:

- فى شارع كالفر.

قلت له:

- وما هو رقم البيت؟

فأكد لى أنه لم يقرأ الرقم وراح جو يستطرد فى عرض

ما لديه من معلومات حيث قال:

فقلت لبيل« ينبغى أن نتحقق من الرقم» واتجهنا إلى البيت الذى شهد الجريمة وحين تأكدنا أن رقمه ٧٤ تناقشنا معاً حول ما سنفعله فقال بيل: ولكن ما يدريك ربما لا توجد علاقة بين الدفتر والجريمة.

فقلت له ك ولكن ربما اكتشفنا علاقة ما بينهما.

وبعد مناقشات طويلة معاً سمعنا أن رجال الشرطة يبحثون عن رجل غادر هذا المنزل فى أعقاب الجريمة ولهذا السبب جئنا إلى هنا، وسألنا عمن يشرف على تحقيق الجريمة فأرشدونا إلى مكتبك وغاية ما نصبو إليه هو ألا نكون قد بددنا وقتك الثمين.

فقال بارمنتر:

- إنكما رائعان حقا، ولكن هل أحضرتم الدفتر؟ على أية حال ألف شكر لكما. والآن دعونى ألقى عليكما بعض الأسئلة.

وتغيرت نبرات صوته التى سرعان ما تحولت إلى لهجة رجل بوليس صارم حازم على عكس ما كان عليه منذ لحظات مضت بدا خلالها مستمعاً جيداً للغاية، وراح يسأل

ويتلقى الإجابات حتى عرف بدقة الوقت والمكان غير أنه فشل فى الوصول إلى معرفة ملامح الرجل الذى فقد دفتره الصغير.

كان وصفهما لهذا الرجل لا يزيد عن وصف صاحب المنزل ،فهو رجل متوسط القامة يحيط عنقه بكوفية من الصوف، وقد أرخى قبعته على جهه وفى يديه قفاز ويتحدث بصعوبة كأنه مزكوم.

وعقب مغادرة الرجلان راح بارمتر ينظر بإمعان إلى الدفتر الصغير وهو مستغرق فى التفكير.

وقرر أن يرسل الدفتر فوراً إلى الجهات المعنية لفحصه بعناية شديد خاصة فيما يتعلق بدليل بصمات الأصابع أو غير ذلك.. ولكن شغلته كثيراً العبارة المكتوبة بالدفتر وعن الجرذان العمياء إلى جانب انشغاله بمعرفة العنوان الثانى.

دخل المفتش كين فى تلك اللحظة فقال له:

- تعال ياكين.. انظر إلى هذا.

فنظر كين من فوق كتفه وقرأ الكلمات «ثلاثة جرذان عمياء» ثم أطلق من فمه صفيراً خافتاً.

وفى تلك الأثناء راح بامتر يفتح درج مكتبه ثم أخرج

منه ورقة متوسطة الحجم بسطها على مكتبه إلى جوار الدفتر الصغير.

كانت هذه الورقة قد عثروا عليها بملابس المرأة القتيلة بواسطة دبوس ،وكان مكتوباً عليها هذه العبارة «هذه هى الأولى».

ثم ظهر أسفلها رسم بدائى كان طفلاً صغير قد رسمه وهو يشير إلى ثلاثة جرذان وبالقرب منها علامة نوتة موسيقية.

وهنا وجد كين نفسه يغنى دون إرادة منه أغنية مشهورة يقول مطلعها:

ثلاثة جرذان عمياء.. انظر إليها كيف تجرى.

فقال بارمتر:

- نعم .. هذا بالضبط النغم.. إنه علامة مميزة للقاتل أو بمعنى آخر بصمته وتوقيعه.

آوه ..ما أبشعها فكرة إنها مجنونة حقاً.

- نعم ولكن هل أنت متأكد من شخصية المرأة القتيلة .

قال: أكيد فهذا هو تقرير إدارة البصمات وقد ورد فيه أن مورين كريج هو الاسم الحقيقى للمرأة المعروفة بمسزليون

فـقد كـانت إحـدى نزيلات سـجن (هولواس) وتم إطلاق سراحهـا منذ شهرين بعد مرور مـدة السجن التى حكم بها القضاء عليها.

فقال بارمنتر:

- وعقب إطلاق سـراحها . . ذهبت لـلعيش فى داخل المنزل رقم ٧٤ بشارع كـالفر وسمت نفـسها مـورين ليون، وقد أدمنت الخمـور وقيل إنها اصطحبـت أحد الرجال إلى غرفـتها أكـثر من مرة ،وكان واضـحاً أنها لا تخـاف أحداً وبالتـأكيـد لم تكن ترتاب فى أى خطر يتربص بـها. ورن الرجل جرس الباب وسـأل عنها، فقالت له صـاحبه المنزل إنها فى الطابق الثانى. . وأخبرتنا صـاحبة المنزل أنه متوسط القامة وصوته مزكوم. وعادت صاحبت المنزل إلى مقرها فى الطابق الأرضى ولم تشاهد شيئاً أو تسمع قولاً يثير ريبتها . . ثم أكدت أنهـا لم تشعـر إطلاقاً بمغـادرة الرجل، وبعد عدة دقائق حملت أقدح الشاى إلى مورين كريج فى غرفتها ووجـدتها ملـقاة على الأرض مـخنوقـة. والواقع ياكين أن القاتل قد دبر جريمته بدقة شديدة.

ثم سكت عن الكلام لحظة قبل أن يقولك

- ترى كم قصراً فى إنجلترا يحمل اسم ماتكسويل؟

- ربما يوجد قصراً واحداً فقط.

- إذا جار ذلك فسوف يكون ضربة من ضربات الحظ.

- على أية حال لنبحث الآن عن هذا القصر فليس لدينا وقت كاف.

وتأمل المفـتش كـين العنوانين المسـجلـين فى الدفـتـر الصغير.

«٧٤ شارع كالفر. قصر ماتكسويل»

ثم تحول إلى رئيسه وقال:

- هل تظن أن . .

فقاطعة بارمنتر قائلاً فى لهفةك

- نعم. . فماذا تعتقد أنت ياكين؟

- هذا ممكن. ولكن أين يوجد قصر ماتكسويل هذا؟

- صبـراً ياسيدى . . إننى أقسم أننى قرأت هذا الاسم اخيراً.

- أين؟

- هـذا ما أحـاول الآن أن أتذكره . . صبراً لحظة، فـقد قرأت ذلك فى إحدى الصحف وفى صحيفة التايمز على ما

أعتقد وبالتحديد فى صفحتها الأخيرة فى إعلانات الفنادق والغرف المفروشة.. آه . . .آه لقد تذكرت الآن . . كنت أحاول حل بعض الكلمات المتقاطعة.. إنه أحد الأعداد القديمة فى الصحيفة.

وأسرع خارج الغرفة ثم ما لبث أن عاد بعد قليل وعلى شفتيه ابتسامة عريضة. وهتف:

- هذا هو الإعلان ياسيدى.. انظر تأمل.

فقرأ بارمنتر الإعلان الذى أشار إليه كين بأصبعه (فندق قصر ماكسويل) فى (هاريليدن) بمقاطعة بركشاير. وهتف قائلاً:

أريد الاتصال حالاً بإدارة شرطة بركشاير.

الفصل الخامس

حين جاء الماجور متكالف شهد الفندق نظامًا جديداً فى خطوط العمل رغم أن الماجور فظ مثل مسز بويل ولا يميل للهذر مثل كريستوفر رين، وإنما كان رجلاً فى العقد الرابع من عمره يبدو جاداً وقوراً كعسكرى منضبط.

كان الماجور متكالف قد أحضر معه حقيبتين ثقيلتين بددتا كل هواجس جايلز الذى كان يتشكك فى قدرة رواد الفندق أو استعداهم لسداد فاتورة الحساب.

ورغم أن الماجور ومسز بويل لم يكن لهما أصدقاء مشتركون إلا أنه بدا أن الماجور يعرف أبناء عمها الذين يقيمون بمدينة (بوتا) ولهذا السبب قام بينهما خيط من التفاهم.

غير أن مولى وجايلز لم يكن لديهما مزيد من الوقت لبحث العلاقات بين رواد الفندق.

كانا يتعاونان معاً فى تجهيز الطعام وتقديمه للنزلاء ثم يتفرغان لغسل الأوانى.. وقد عبر الماجور متكالف عن رضاه عن جودة الطعام ومذاق القهوة اللذيذ، وقد خلد كل

من جايلز ومولى إلى فراشهما وهما متعبان إلا أنهما راضيان تماماً عن أنفسهما غاية الرضا لكى يستيقظا فى الساعه الثانية صباحاً على رنين جرس الباب الخارجى.

كان رنين الجرس متصلاً دون انقطاع فقال جايلز وهو يكاد ينفجر حزناً وألماً ك

- اللعنة . . إنه جرس الباب الخارجى من هذا الذى يرن بهذا الشكل الرهيب؟

فقاطعته مولى:

- اذهب وانظر من هذا القادم فى تلك الساعة المتأخرة . . أسرع بحق السماء يا جايلز قبل أن يستيقظ النزلاء.

رمقها جايلز بنظرة تأنيب ثم تناول وشاحاً وضعه على كتفيه وهبط درج السلم، سمعت مولى حركة مزلاج الباب الخارجى ثم تمتمة مع شخص آخر فى بهو الفندق دفعها الفضول لمعرفة من القادم فى تلك الساعة. ونهضت من فراشها وأطلت من فوق حاجز السلم على البهو ورأت زوجها يساعد رجلاً غريباً ذا لحية قصيرة على خلع معطفه المغطى بحبات الجليد، وترامى لسمعها بعض كلمات فقال الزائر بصوت مرح وبلكنة أجنبية واضحة:

إن البرد شديد للغاية حتى أكاد لا أشعر بأطراف أصابعى أما قدماى. .

ودق الأرض بقدميه بصوت مسموع فقال جايلز وهو يفتح باب غرفة المكتبة:

أدخل هنا لتتمتع ببعض الدفء حتى أفرغ من إعداد غرفتك.

فقال الرجل الغريب فى لباقة:

- أنت بالفعل سعيد الحظ.

فانحنت مولى فوق حاجز السلم ونظرت إلى الرجل القادم ،فرأت رجلا طاعناً فى السن ذا لحية قصيرة سوداء وحاجبين كثيفين. . وكان الرجل يسير بخطوات سريعة نشيطة لا تتوافق مع سنه وشعره الأشيب.

ودخل الرجل قاعة المكتبة وأغلق جايلز الباب ثم صعد درج السلم على عجل فسألته مولى:

من يكون هذا الرجل؟

فابتسم جايلز وأجاب:

- إنه نزيل جديد. . اصطدمت سيارته بأكوام هائلة من الجليد وانقلبت ونجح فى الخروج منها ومشى دون أن يعرف

أين يمضى فى طريقـه حتى شاهد لافتـة الفندق فكان كمن ضل طريقـه فى الصحراء وعثر على ضالتـه هكذا قـال بالحرف وسكت لحظات ثم أردف يقول:

- إن العاصفة لا تزال شديدة فى الخارج.

فقالت مولى بصوت يدل على مخاوفهاك

- هل تظن إنه .. أقصد هل أنت مطمئن إليه؟

- عزيزتى إن اللصوص لا يسطون على المنازل.

- إنه أجنبى أليس كذلك ؟ إن لهجته تدل على ذلك.

- نعم واسمه بارافتشينى .. لقد اطلعت على حافظة نقوده فقد تعمد أن يفتحها أمامى لكى أرى بنفسى بطاقته وأما حافظته فقد كانت مكتظة بالأوراق المالية، ولكن السؤال الآن إلى أى غرفة أذهب به ؟

- إلى الغرفة الخضراء فهى نظيفة، ولكنها تحتاج فقط إلى ترتيب فراشها.

فعلق جايلز قائلاً:

- ينبغى أن أزوده بإحدى بيجاماتى، فقد ترك كل متعلقاته فى السيارة ونجا بأعجوبة من أحد نوافذها.

وحملت مولى جميع أغطية الفراش والوسائد واتجهت بصحبة زوجها إلى الغرفة الخضراء وهناك قال لها جايلز:

- يبدو أن الجليد سيعزلنا عن العالم تماماً وهو أمر لا شك إنه شديد الخطورة، أليس كذلك؟

فأجابت مولى:

- لا أعلم.

ثم هزت رأسها فى قلق وخوف وقالت:

- أتعتقد أننى أستطيع أن أصنع خبزاً يا جايلز؟

فأجاب زوجها:

بالطبع ياعزيزتى .. بمقدورك صناعة كل شىء، ولكن لم يسبق لى صناعة خبز من قبل.. لقد اعتاد الخبازان أن يأتيا إلينا بما نحتاج إليه، ولكن أمام تلك العاصفة الثلجية فلا خيار أمامنا سوى الاعتماد على أنفسنا لتجهيزه.

- الأمر لم يعد مقصوراً على الخباز فحسب بل إننا سنفتقد ساعى البريد وحامل الجرائد والقصاب وربما تنقطع أسلاك التليفون أيضاً.

- لن يكون هناك سوى الإذاعة.

- من حسن حظنا أننا نستطيع توليد التيار الكهربائى لإنارة الفندق.

- إذن ينبغى أن نجهز آلة توليد التيار الكهربائى للعمل فى صباح الغد لمجابهة أى طوارىء . . كذلك يجب أن نحتفظ بكمية من الفحم للتدفئة.

- إن الكمية التى فى حوزتنا قليلة . . ومن غير الممكن أن يرد إلينا غيرها فى أى وقت قريب.

- يبدو أننا مقبلون على وقت خطير للغاية ياجايلز والآن هيا أسرع إلى الضيف الجديد واصحبه إلى غرفته.

وفى صباح اليوم التالى تحققت شكوك وظنون جايلز فقد حدث ما تنبأ به من قبل حيث وصل ارتفاع الجليد خمسة أقدام وتكدس أمام الأبواب والنوافذ ولم يظهر فى الأفق ما يشير إلى أن العاصفة الثلجية سوف تنقشع وتهدأ قريباً.

وبدت الدنيا فى خارج الفندق بيضاء . . ساكنة مخيفة.

الفصل السادس

كانت مسز بويل هى الوحيدة التى تتناول إفطارها بمفردها فى قاعة طعام الفندق، حيث كان الماجور متكالف قد تناول إفطاره على المائدة غير أن كريستوفر دين لم يكن قد استيقظ من نومه بعد، حيث كان طعامه ينتظره على المائدة ولهذا كانت مسز بويل هى الوحيدة التى تلتزم بتناول طعام الفطور فى موعده المقرر فى التاسعة صباحاً، وانتهت مسز بويل من تناول الطعام وكان الطعام جيداً، ولكنها كانت تشعر بالغيظ والضيق حيث إن فندق قصر ماتكسويل لم يكن كما جال فى خاطرها وطاف بخيالها.

كانت تتمنى أن تجد فيه من يشاركها فى لعبة البريدج أو أن تجد فيه عوانس تبهرهن بمركزها الاجتماعى.

وتبهرهن بأهمية المناصب التى تولتها أثناء اندلاع الحرب وكانت نهاية الحرب قد تركت مسز بويل فيما يشبه حافة الصحراء ،وهذا يعود لحرصها على إصرارها على إصدار الأوامر فى حزم وثقة ولا تقبل أى تهاون فى العمل أو النظام وكان نشاطها المتدفق يمنع الذين يعملون معها من

التشكك فى كفاءتها، وقد اكتشفت أن أنشطة الحرب تعد مجالاً مناسبًا لممارسة هوايتها فى فرض سيطرتها وإرادتها على الناس حتى أن رؤوساء الإدارات لم يسلموا من بطشها.

كان يكفى أن تعبر عن ضيقها حتى يدب الرعب فى قلوب كل من يقف حولها أو بجوارها.

ولكن هذه الحياة المفعمة بالحيوية والنشاط انتهت تماماً عقب انتهاء الحرب، فعادت مسز بويل إلى الحياة البسيطة الهادئة العادية ،ولكنها وجدت أن الحياة العادية التى كانت تعيش فيها قبل الحرب قد انتهت أيضاً.

إن البيت الذى تعيش فيه والذى استولى عليه الجيش لزوم الدفاع يحتاج إلى كثير من أعمال الترميم والزخرفة حتى يصبح مناسباً للمعيشة، كما أن صعوبة العثور على خدم بعد الحرب تجعل سكناها فى ذلك البيت الكبير أمراً شديد التعقيد ،ثم إن الأصدقاء قد تفرقت بهم السبل وشتتهم نيران الحرب وتوابعها.

وهكذا اكتشفت إنها فى حاجة إلى إعادة ترتيب حياتها على نظام جديد يساير تطورات العصر وحداثته، ولكن

واجهتها مشكلة عسيرة تمثلت فى إمكانية العثور على مسكن مناسب لها حتى لو كان غرفة بأحد الفنادق حتى استقرت الأمور ووقع اختيارها على فندق ماتكسويل كمقر مؤقت لها.

* * * * *

طافت مسز بويل ببصرها حولها فى سخط وتذمر حتى أنها همست لنفسها وقالت:

- كان من الأمانة أن يخبرونى بأن هذا الفندق حديث عهد بالعمل ويفتقد للخبرات والتجارب والعراقة.

ودفعت أطباق الطعام بعيداً عنها بيديها فى غضب رغم أن طعام الإفطار كان يحتوى على مربى رائعة وقهوة ذات مذاق لذيذ هى التى صنعتهما بنفسها بل للأسف قد ضاعف ذلك من آلامها وحزنها لأن هذا الأمر قد سلب منها متعة الشكوى وتوجيه اللوم والتأنيب للآخرين.

* * * * *

نهضت مسز بويل من مكانها فى كبرياء وخيلاء وانصرفت من قاعة الطعام ومرت على ذلك الشاب غريب الأطوار ذى الشعر الأصفر حيث كان يرتدى ربطة عنق من اللون الأخضر الصارخ فقالت لنفسها:

- ياله من شاب سخيف.

لم تطب لها ربطة عنقه، ولم تطب لها أيضا تلك النظرة التى رمقها بها من ركن عينيه.

كانت نظراته تحمل معانى من السخرية والتهكم.

وأحنى لها كريستوفر قامته بأدب فردت تحيته بحركة خفيفة من رأسها ثم اتجهت إلى قاعة الاستقبال.

أما المقاعد فى قاعة الاستقبال فقد كانت من طراز فخم عريق خاصة ذلك المقعد الوردى الكبير، وقد اختارته لأنه يناسب كبريائها وصلافها وغرورها.

وضعت حقيبة يدها على المقعد كأنها تؤكد أسبقيتها وحجزه لنفسها، ثم راحت تدنو من أنابيب التدفئة التى تلتف حول القاعة بمحاذاة جدرانها ولمستها بيدها ووجدت أنها دافئة وإن لم تكن شديدة الدفء، فلمعت عيناها وأطلت منها نظرة إصرار وتحد.

لقد عثرت أخيراً على شئ تطلق عليه سهام نقدها اللاذع وأطلت من النافذة ولاحظت أن الجو يبعث على الكآبة ويبث فى نفسها الخوف والفزع، كلا.. إنها تأبى أن تستمر فى هذا الفندق اللعين.

إلا إذا وفد إليه نزلاء آخرون وباتت الإقامة فيه لا تخلو من روح المرح والدعابة والمؤانسة، فى تلك الأثناء انزلقت كومة هائلة من الجليد كانت على سطح الفندق أحدثت دوياً مخيفاً أصابها بالرعب فقالت بصوت عال:

- آوه كلا كلا.. لن أبقى هنا.

وما إن فرغت من تلك العبارة حتى سمعت من ورائها ضحكة قوية ساخرة عالية الصوت فالتفتت لترى الشاب السخيف كريستوفر رين ينظر إليها نظرات شديدة الغرابة وهو يقول لها:

- كلا.. لا أظن أنك ستبقين وقتاً طويلاً هنا.

الفصل السابع

تعاون الماجـور متكالف مع جايلز فى إزالة جـبل الجليد المتـراكم خلف باب المطبخ وفى الطريق المؤدى إلى حظيـرة الطيور والدجـاج ،وقد أبدى حمـاسة وهمة دفـعت جايلز للامتنان له وتوجيه الثناء عليه فعلق متكالف قائلاً:

- إنها رياضة جـميلة. . والحقيقـة أننى أمارس الرياضة كل يوم.

وعرف جايلز أن الماجور من عشاق ممارسة الرياضة.

ولذلك أدرك إصـراره عـلى تناول طعـام إفطاره فى منتصف الساعة الثامنة صباحاً.

وربما أدرك متكالف ما يجول فى ذهن جايلز حيث قال:

- كان سخاء من زوجـتك أن تجهز لى طعام الإفطار فى وقت مبكر وأن تزودنى ببيض طازج.

* * * * *

كان جايلز نفسه قد استيقظ من نومه قبل الساعة السابعة

لإنجاز أعمال الفندق، فأسرع لمساعدة زوجته فى تجهيز أقداح الشاى والبيض وإعداد الموائد وقاعة الاستقبال، وأثناء ذلك تمنى فى قرارة نفسه أن يكون أحد نزلاء الفندق ليبقى فى فراشه أطول وقت ممكن.

من ناحيته استيقظ الماجور مبكراً قبل أى شخص آخر، ثم راح يجوب الفندق كأنه يمارس رياضة المشى وما إن أبصر جايلز حاملاً معولاً بهدف إزالة الجليد المتراكم حتى أسرع لمساعدته.

وراح جايلز يراقبه بنظراته محاولاً تقييمه، وجده رجلاً صلب العود فى العقد الرابع من العمر يبدو نشيطاً يقظاً يتابع عن كثب كل ما يدور من حوله وتساءل جايلز:

– ترى ما هو السبب الذى دفع هذا الرجل للمجىء إلى هذا الفندق؟ يبدو أنه تقاعد من الجيش ولم يجد له عملاً آخر.

* * * * * *

توجه مستر برافتشينى إلى قاعة الطعام متأخراً وكان

إفطاره كعادة أهل أوربا بسيطاً للغاية عبارة عن قدح من القهوة إلى جانب كسرة خبز جاف.

وشعرت مولى بالسخط حين حملت إليه الطعام فنهض من مقعده وأحنى قامته حتى كاد رأسه أن يمس ركبته حيث صاح قائلاً فى أدب شديد كأنه رجل يابانى:

– أظن أننى فى حضرة صاحبة المكان الكريمة. . فهل أنا على حق ياعزيزتى؟

فأجابته مولى باقتضاب شديد:

– نعم إنك على حق

وأسرعت إلى المطبخ وشرعت فى تنظيف وغسل أقداح الشاى وهى تقول فى أسى:

– إن هذا أمر أصبح لا يطاق . . لماذا يتناولون إفطارهم فى أوقات مختلفة؟

وما لبثت أن فرغت من الأقداح حتى أسرعت إلى الطابق الأول لإعداد غرف النوم.

كانت تعرف أنها لا تستطيع انتظار أية معاونة من جايلز حيث كان منهمكاً فى تنظيف حظيرة الدجاج وإزالة أكوام الجليد منها.

وفرغت من إعداد وتنظيم غرف النوم وتوجهت إلى تنظيف الحمامات والمغاسل، وأثناء ذلك رن جرس الهاتف الأمر الذى أشعرها بالارتياح حيث اطمئنت إلى أنها ما زالت على اتصال بالعالم الخارجى حين رن الهاتف.

وهبطت على عجل درج السلم وبلغت قاعة المكتبة وهى تلهث ورفعت السماعة وقالت:

- آلو . . من المتحدث؟

فأجابها صوت مرح يتحدث بلكنة ريفية واضحة:

- هل هذا قصر مانكسويل؟

- هذا فندق قصر مانكسويل

- هل يمكننى التحدث مع الكابتن جايلز دافيز؟

- للأسف من العسير أن يتحدث معك. . وعلى أية حال أنا زوجته فمن أنت ياسيدى.

- جوجين . . مدير شرطة بيركشاير

ارتبكت مولى وغمغمت:

- آه . . . آه . . نعم . . نعم ياسيدى.

- إننى أريد محادثته فى أمر شديد الأهمية . . لا

أستطيع أن أكشفه عبر الهاتف، ولكننى بعثت إليكم بالمفتش تروتر وسوف يحضر لديكم بعد قليل.

- لكنه لن يتمكن من الوصول إلينا فنحن فى عزلة تامة عن العالم الخارجى ،حيث الطرق مكدسة بأكوام الجليد والمواصلات على ما أعتقد باتت معطلة تماماً.

ولكن مدير الشرطة خاطبها قائلاً فى ثقة:

- إن مبعوثى تروتر سيصل إليكم فأرجو منك ومن زوجك أن تنصتا السمع إليه وأن تتبعوا تعليماته وتوجيهاته دون تردد هذا هو كل ما أريده.

- ماذا؟

ولم تتلق جواباً عن سؤالها الأخير، حيث كان الطرف الآخر قد وضع سماعته بعد أن قال كل ما أراد أن يقوله.

ووضعت مولى السماعة بدورها وقد تملكها الذهول ثم استدارت للخروج وفى تلك اللحظة فتح الباب فصاحت:

- آه. . أهذا أنت يا جايلز؟

ووقف جايلز بالباب ووجهه ملطخ بتراب الفحم وقطع الثلج تغطى رأسه وكتفيه.

قال:

- ماذا حدث يامولى لقد قمت بنقل الفحم والخشب وسأتولى الآن إطعام الدجاج، ولكن ماذا بك؟

- أرى أنك واجمة.. أحدث شيء يامولى؟

- لقد اتصل بنا البوليس ياجايلز.

فصاح جايلز فى دهشة:

- البوليس؟

- نعم أخبرنى المتحدث أنه أرسل إلينا مفتشاً.

- ولكن لأى سبب! ماذا حدث؟ ماذا فعلنا؟

- لا أعرف.. هل تظن أنهم يريدون الاستفسار عن شحنة الزبد التى استوردناها من أيرلند؟

فقطب جايلز حاجبيه وقال بعد برهة من التفكير:

- هل حصلنا على رخصة للراديو؟

- نعم.. إنها فى درج المكتب الخاص بك.. اسمع ياجايلز إننى حصلت من مسز بيدلوك على خمسة كوبونات سكر نظير ثوبين قديمين وهذا أمر ربما كان مخالفًا للقانون ولكن المبادلة كانت منصفة.. والسكر لاستهلاك الفندق ولم يكن بقصد الاتجار.. يا إلهى.. هل ارتكبنا مخالفات اخرى لا ندرى عنها شيئًا يا جايلز؟

فقال جايلز:

- منذ أسبوع كدت أصطدم بسيارتى إحدى السيارات الأخرى ولكن لم يصب أحدنا بسوء أو أضرار وكان الخطأ يتعلق بقائد السيارة الأخرى.

فتنهدت مولى وقالت:

- لابد أننا ارتكبنا خطأ قانونيًا لا نعرفه.

فقال جايلز:

- المصيبة أن كل ما يفعله الإنسان فى هذه الأيام أصبح مخالفاً للقانون.. ولهذا يتملك الإنسان عقدة الذنب دائماً.. ولكنى أعتقد أن وصول المفتش له علاقة بإدارة الفندق.. وربما كان واجباً استيفاء أوراق لإدارة الفندق لا علم لنا بها.

- إننى أظن أن البوليس لا يبالى بالمشروبات الكحولية والخمور، ونحن لم نقدم شراباً وخموراً حتى الآن لأى أحد..

- فما هى المشكلة إذن؟

- كل شيء فى هذا البلد يبدو مخالفاً للقانون.

- آوه . . . رباه . . كم أتمنى لو أننا لم نبدأ إدارة هذا الفندق اللعين. . حتى الجليد يتساقط بكثرة غير معهودة وسوف يشعر النزلاء بالسخط والضيق والزهق الواضح أن العاصفة أمامها وقت طويل حتى تنتهى وربما ستنفد من مخازننا المعلبات والأطعمة .

فقال جايلز:

- لا عليك ياعزيزتى. . كل شىء الآن يبدو مثيراً للقلق والمخاوف ولكنها أزمة طارئة سرعان ما تتلاشى.

قال ذلك بعد أن طبع على جبينها قبلة حانية، ولكنه كان شارد الذهن ثم أردف قائلاً:

- هل تريدين رأيى يامولى؟ إن الأمر كما أرى على جانب عظيم من الأهمية والخطورة وإلا ما أرسلوا إلينا أحد مفتشى الشرطة للبحث فى هذا الجو العاصف.

وأشار إلى الجليد الذى يغطى الأرض فى الخارج وأردف يقول:

- نعم يبدو أن الأمر خطير.

وفتح الباب فى تلك اللحظة دخلت مسز بويل صائحة وعيناها تتألقان.

- أنت هنا يامسر دافيز. . هل تعرف أن أنابيب التدفئة فى قاعة الاستقبال باردة كالثلج؟

- أنا آسف يامسز بويل. . إننا نعانى من نقص الفحم. . .

- ولكن على أية حال. .

فقاطعته فى حدة وقالت:

- أنا أدفع سبعة جنيهات فى الأسبوع . . ولا يجب أن أموت من البرد.

شعر جايلز بالغيظ ولكنه تمالك وقال:

- حسنا سأرى ما ينبغى عمله، وغادر الغرفة. . التفتت مسز بويل إلى مولى وقالت فى هدوء:

- أرجو المعذرة يامسز دافيز. . ولكننى أود أن أقول لك إنك تستقبلين هنا شابًا غريب الأطوار . . أو طباعه وربطة عنقه . . ثم. . ثم أخبرينى يامسز دافيز ألا يفكر هذا الشاب ولو مرة واحدة فى تصفيف شعره؟

فقالت مولى:

إنه مهندس معروف.

- ماذا؟

- قلت إن كريستوفر رين مهندس مرموق.

- ياعزيزتى إننى أعرف المهندس العبقرى كريستوفررين العبقرى الذى شيد كاتدرائية سانت بول أتعتقدون أنكم تعلمون مالا يعلمه أحد غيركم؟

-أنا أقصد مستر رين المتواجد هنا إن اسمه كريستوفررين أيضاً، وقد أطلق عليه أبوه هذا الاسم ربما يصير مهندساً لامعاً فى أحد الأيام وهو مهندس فعلاً.

غمغمت مسز بويل وقالت:

- هذه قصة ساذجة لا تنطلى على. . ولو كنت مكانك لكشفت أسراره ولكن يبدو أنك تعرفين الحقيقة.

- مثلما أعرف عنك يامسز بويل. . إن كلاكما يدفع سبعة جنيهات فى الأسبوع وهذا هو ما يهمنى فى الأساس أن أعرفه . . ولا أبالى أبداً بمشاعرى نحو عملائنا فمودتى ومحبتى لهم تعد فى تقديرى أمراً لا أهمية له.

شعرت مسز بويل بالاشمئزاز من تلك الكلمات الباردة وقالت:

- إنك فى مقتبل العمر وتفتقدين للخبرة والمعلومات الكافية ومن واجبك أن ترحبى بنصائح من يفوقونك خبرة وعلماً ثم إن ذلك الأجنبى الغريب. . متى أقبل هنا؟ إننى لم أره بالأمس.

- حضر فى منتصف الليل.

- إنه أمر لافت للانتباه فقد حضر فى ساعة غير مألوفة.

فقالت مولى فى أدب:

لكنه رفض استقبال النزلاء لمجرد وصولهم فى ساعة متأخرة يفتقد أبسط قواعد الاحترام.

فرفعت مسز بويل رأسها فى غطرسة وقالت:

- غاية ما أريد قوله هو أن هذا المستر برافتشينى يبدو لى للوهلة الأولى. . .

وقبل أن تستكمل عبارتها صدر صوت واضح ذو لكنه أجنبية.

- عذراً ياعزيزتى إذا تحدثتِ عن الشيطان فسوف يظهر أمامك.

استدارت السيدتان وتأملاتا حولهما فأبصرتا وجود مستر برافتشيني واقفا وراءهما.

* * * * *

الفصل الثامن

كان برافتشيني قد تسلل إلى الداخل فى هدوء حتى لا يشعر به أحد، وقد طاب له أن يرى ذعرهما حينما سمعا صوته حتى انفجر ضاحكا.

قالت مسز بويل:

– لقد أرعبتنا وأنا لم أسمع خطواتك وأنت تتسلل إلى هنا.

فقال الرجل وهو يضحك:

– لأننى بالفعل أمشى على أطراف أصابعى حتى لا يشعر بوجودى أحد ،ولهذا أسمع الكلام وهذه لعبة مسلية أخرى.

ثم استطرد قائلاً:

– لكننى لا أنسى أبداً ما أسمعه.

فقالت مسز بويل فى اضطراب:

– أهذا صحيح؟ ينبغى أن أحضر حقيبتى فقد تركتها فى غفلة داخل قاعة الاستقبال.

وأسرعت الخطى وهى ترمق برافتشينى بنظراتها بينما

ظهرت علامات الدهشة على وجه مولى التى تأملها الرجل الأجنبى بسرعة وقال:

- إننى ألاحظ علامات الدهشة على وجهك ياعزيزتى

تراجعت مولى خطوة إلى الخلف حيث ساورتها الظنون نحو الرجل، ولم تكن تشعر نحوه بأية مودة فقالت فى هدوء :

- إن كل شىء يبدو أمامى هذا اليوم صعباً وعسيراً ربما كان الجليد هو السبب الوحيد فى هذا الشعور.

التفت الرجل ناحية النافذة وقال:

- أشاطرك الرأى إن الجليد يعرقل الأمور حقاً.

- لا أعرف ماذا تقصد؟

فقال وهو يبدو أمامها شارد الذهن:

- كلا . . هناك أشياء كثيرة لا تجهلينها على رأسها إدارة أعمال الفنادق.

فرفعت مولى رأسها وقالت فى ثقة وإصرار:

- لا أدعى . . إننا نعرف كل شىء لكننا عازمون على النجاح يسعدنى أن أسمع منك ذلك.

قالت مولى مرة أخرى فى ثقة:

- أعتقد أننى لست طاهية فاشلة.

- نعم أنت رائعة.

فقالت فى نفسها:

- ما أقبح مجاملات الأوربيين الأوغاد.

ولأن الرجل أدرك ما يجول فى ذهنها فقد قال:

ينبغى أن أخبرك بشىء شديد الأهمية وهو يجب ألا تسرفا فى الثقة نحو نزلائكما فمثلا هل لديكما معلومات أساسية عن هويتهم وأخلاقهم؟

فقالت مولى فى اضطراب:

- وهل يجب أن نعرف ذلك عنهم؟ إن واجبنا أن نحسن ضيافة كل من يرغب فى الإقامة لدينا.

انحنى الرجل أمامها وربت بيده على كتفيها قائلاً:

- يجب معرفة أى شىء عنهم أنا مثلاً زعمت أن سيارتى انقلبت بفعل أكوام الجليد، وربما لا أكون صادقاً وبالتالى فإن هؤلاء مثلى قد لا يكونون صادقين فيما زعموه عن أنفسهم.

فقالت:

- إن مسز بويل . .

ولم تكمل عبارتها حيث رأت هذه السيدة آتية وقالت مسز بويل:

- إن البرد قارص فى قاعة الاستقبال ومن المناسب أن أجلس هنا.

واتجهت ناحيه المدفأة إلا أن برافتشينى سبقها ناحية المدفأة وهو يقول:

- هلا سمحت لى أن أنظم لك جمرات النار فى المدفأة؟

وأصابت مولى الدهشة كما أصابتها ليلة أمس حين لاحظت خطواته الرشيقة التى لا تتناسب مع سنه الكبير إلا أنها لاحظت أنه دائماً يدير ظهره للمدفأة، وأدركت الآن حين شاهدته راكعًا أمام المدفأة حيث ينعكس على صفحة وجهه وهج النار.. إنها عرفت سبب ذلك.

لقد كان الرجل يجيد طلاء وجهه كما يفعل الفنانون فى محاولة منه لكى يبدو لناظريه صغير السن لكنها محاولة فاشلة لأن ملامح وجهه تعبر بالفعل عن حقيقة عمره. أما خطواته الشابة فهى خطوات زائفة تدرب عليها.. ودخل

الماجور متكالف فى تلك اللحظة وأعاد مولى من خيالاتها إلى أرض الواقع، قال الماجور:

أتصور يامسز دافيز أن الماء فى أنابيب.. وخفض قليلاً فى صوته فى حياء وأردف قائلاً:

- فى أنابيب دورة المياة قد تجمدت.

فصاحت مولى وقالت:

إنه يوم مخيف.. الشرطة .. تجمد الماء فى الأنابيب.. رباه ماذا سيحدث لنا بعد الآن؟

وهنا سقط القضيب الحديدى من يد برافتشينى تلك التى كان ينظم بها جمرات اللهب فى المدفأة .. وتوقفت مسز بويل عن أعمال التطريز ونظرت مولى إلى متكالف وأدهشها ما شاهدته على وجهه من خوف حيث كانت كل الأحاسيس قد ارتسمت على وجهه كأنه قد تم نحته من خشب، قال متكالف بصوت واهن:

- البوليس؟ هل قلت البوليس؟

لاحظت مولى أن الجمود الذى يظهر على قسمات وجهه إنما يخفى فى الواقع شعور شديد العنف لعله الشعور

بالخوف والانفعال، ولكن هناك شعوراً ما ولم تتمالك من أن تقول لنفسها:

- هذا رجل خطير لا شك فى ذلك.

وقال الماجور مرة ثانية ولكن بنبرة لا تخلو من الفضول.

- ماذا حدث من رجال البوليس؟

- لقد أخبرونا هاتفياً قالوا إنهم سيبعثون بأحد رجالهم.

ونظرت من خلال النافذة وأردفت تقول:

- لكننى لا أتوقع حضوره.

فقال وهو يقترب منها:

- ولكن لماذا يرسلون أحد المفتشين إلى هذا الفندق؟

وقبل أن تتمكن مولى من الرد على السؤال فتح جايلز الباب ودخل ليقول فى غضب:

- إن هذا الفحم اللعين أصبح أشد صلابة من الحجارة.

ثم التفت من حوله واستطرد يقول:

- هل حدث شىء؟

فقال متكالف:

- سمعت أن أحد رجال الشرطة سيحضر إلى هنا.

فهز جايلز كتفه وقال:

- لا أحد يمكنه الحضور فى مثل هذا المناخ السىء إن ارتفاع الجليد يبلغ ستة أقدام والطرق كلها مغلقة.

أثناء ذلك سمعوا ثلاث طرقات لم يعرفوا مصدرها فى بادىء الأمر.. وأخيراً خرجت من فم مولى صيحة خافتة وهى تشير نحو النافذة فلاحظ الحاضرون رجلاً ينقر بإصبعه على زجاج النافذة ولاحظوا أنه يستخدم أدوات التزحلق على الجليد وهو ما بدد دهشتهم لوصوله إلى هنا.

* * * * *

تسمر جايلز فى موضعه وعلامات الدهشة لا تبارح وجهه ،ولكنه سرعان ما تمالك نفسه ودنا من النافذة وراح يفتحها بعد جهد وعناء.

قال القادم:

- أشكرك ياسيدى.

كان له صوت دافىء ومرح ثم قدم نفسه قائلاً:

- أنا المفتش تروتر.

حملقت مسز بويل كثيراً فى وجهه وقالت:

- إنك صـغير السن ومن الـصعب أن تكون مـفتش بوليس.

فبدت علامات الأسى على وجه تروتر حيث كان صغير السن حقاً وعاد يقول:

- إننى لا أبدو صغير السن كما تزعمين ياعزيزتى.

وجال ببصره على الحاضرين وتوقف أمام جايلز وقال:

- هل أنت مستر دافيز؟ هل أستطيع أن أتخلص من أدوات التزحلق فى مكان ما؟

- نعم. نعم ياعزيزى. . تفضل معى.

ودخل المفتش من النافذة وتبع دافيز حيث ذهب.

وما أن تم إغلاق باب البهو خلفهما حتى قالت مسز بويل:

يبدو إن رجال البوليس لاهم لـهم سوى ممارسة الرياضة والتزحلق على الجليد.

ودنا برافتشينى من مولى وقال فى صوت خافت وكان فى عينيه نظرة خبيثة أزعجتها وأفزعتها حتى أنها تراجعت إلى الوراء :

- لماذا أرسلت فى طلب رجال البوليس يامسز دافيز؟

- كلا لم أرسل إليهم أقسم لك أننى لم أفعل ذلك.

وفتح الباب ودخل كريستوفررين وهو غاضب وسأل .

- من هذا الرجل الذى بالبهو ومن أين أتى؟

- إنه شديد المرح ويتدفق حيوية ونشاطا.

فقالت مسز بويل :

- صدق أو لا تصدق إنه شرطى من هواة التزحلق على الجليد.

وكان صوتها يعبر عن احتقارها وكأن وجود رجل بوليس يهوى التزحلق على الجليد هو القشة التى قصمت ظهر البعير.

وقال الماجور متكالف موجهاً كلامه لمولى:

- عفواً يامسز دافيز هلا سمحتِ لى باستخدام الهاتف؟

- طبعاً . . طبعاً يا ماجور.

وتناول الماجور السماعة فصاح كريستوفررين قائلاً:

- إن هذا الشرطى على جانب كبير من الوسامة شأنه شأن جميع رجال الشرطة.

وصاح متكالف فى ضيق:

- آلو. . آلو.

ثم التفت إلى مولى وقال:

- لقد سكت الهاتف نهائياً يامسز دافيز.

فقالت:

- ولكنه كان على ما يرام منذ قليل.. إننى..

ولم تستكمل عبارتها حيث انفجر كريستوفررين ضاحكاً فى هستيرية وقال بصوت مرتفع:

- إذن أصبحنا الآن فى عزلة تامة عن العالم الخارجى أليس هذا أمراً يبعث على الضحك حقاً؟

فقال متكالف بحدة:

- لا يوجد سبب يدعو إلى الضحك ياعزيزى.

فقالت مسز بويل: أشاطرك الرأى ياماجور لا يوجد ما يدعو للضحك والسخرية هكذا.

وظل كريستوفر يضحك حتى اغرورقت عيناه بالدموع وكأنه أصيب بنوبة هستيرية ثم وضع إصبعه على شفتيه محذراً وقال فى هدوء.

- اصمتوا جميعاً.. إن رجل الشرطة قادم.

* * * * *

الفصل التاسع

عاد جايلز برفيقه مفتش البوليس الذى كان قد تخلص من أدوات التزحلق وأزال أيضاً قطع الجليد التى غطت ثيابه وأمسك بيده دفتراً وقلماً.

وأقر الجميع أنه أشاع بذلك جواً من الرهبة والجدية والهدوء فى أرجاء المكان.

وقال جايلز:

- مولى إن المفتش تروتر يرغب فى التحدث إلينا بمفردنا.

فاتهجت مولى إلى خارج الغرفة.

وقال جايلز:

- لنذهب إذن إلى غرفة المكتب

واتجهوا جميعاً إلى الغرفة الصغيرة وهناك أغلقوها بإحكام وتحول إليها المفتش تروتر فقالت مولى فى خوف.

- ماذا فعلنا أيها المفتش؟ هل خالفنا القوانين؟

فتأملها المفتش فى وجهها ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامه وقال:

- لا يوجد شىء مخالف للقانون أرجو أن تطمئنى ياسيدتى إنما جئت فقط بهدف الحماية ولا شىء أكثر من ذلك هل تفهمين ما أقصده؟

لكنها لم تستطع أن تستوعب ما أراد أن يوضحه وكان جايلز أيضاً مثلها فى عدم الفهم.

فقال المفتش رداً على الأسئلة التى لم ينطقا بها:

- إن الموضوع وثيق الصلة بحادث مقتل مسز ليون أقصد مس مورين ليون .. التى وجدناها مقتولة فى لندن منذ يومين وما من شك أنكما قرأتما عن هذه الجريمة فى الصحف.

فقالت مولى:

- نعم.

قال المفتش:

- إن أول شىء أود معرفته الآن هو هل كانت تربطكما أية صلة بالقتيلة؟

فأجابه جايلز قائلاً:

- كلا كلا..

إن هذا ما توقعناه ولكن ينبغى أن يعرف كلاكما أن ليون

ليس هو الاسم الحقيقى للمرأة المقتولة إن لهذه المرأة سجل فى إدارة الشرطة وبصماتها موجودة بهذا السجل، وهكذا استطعنا كشف هويتها بسهولة إن اسمها الحقيقى كما هو ثابت فى سجلاتنا هو جريج.. مورين جريج أما زوجها فهو جون جريج وكان يعمل مزارعاً فى (لونجريدج) وهى مزرعة قريبة من هنا .. هل سمعتما من قبل عن قضية مزرعة لونجريدج؟

* * * * * *

ساد الغرفة صمت رهيب قطعه ارتطام قطعة كبيرة من الجليد على السطح ثم سرعان ما سقطت على الأرض وراح تروتر يقول:

-حدث أثناء الحرب حين أغارت الطائرات الألمانية على لندن فى سنة ١٩٤٠ وقد قررت الحكومة البريطانية تهجير أطفالنا فى لندن إلى المقاطعات البعيدة حتى يتفادوا شرور الحرب وويلاتها.

كان من بين هؤلاء الأطفال ثلاثة أشقاء طفلان وطفلة تولى مستر جريج رعايتهم بمزرعة لونجريدج، ولكن أحد

هؤلاء الأطفال سرعان ما رحل عن الدنيا بسبب سوء المعاملة والإهمال، وقد أقامت قضية هذا الطفل الدنيا فى بريطانيا ولهذا تعرض جريج هو وزوجته للمحاكمة حيث تعرضا لعقوبة السجن معاً.. ولكن تعرض الرجل لحادث اصطدام سيارة لقى مصرعه على أثرها . أما زوجته فقد قضت مدة العقوبة داخل أسوار السجن ثم أطلق سراحها منذ شهرين.

فعقب جايلز:

- وها هى قتلت لتلحق بزوجها ولكن ترى من هو القاتل؟

تجاهل المفتش تروتر سؤال جايلز ومضى يقول:

- هل تذكرت هذه القضية ياسيدى؟

فهز جايلز رأسه بالنفى وقال:

- فى سنة ١٩٤٠ كنت مع الأسطول فى البحر الأبيض.

فنظر تروتر ناحية مولى وقال:

- وماذا عنك ياسيدتى؟

فأجابت فى تردد:

- أنا .. أنا.. أذكر أننى سمعت عن هذه القصة ولكن دعنى أسألك ما شأننا بتلك القضية.

- الصله أنكما فى خطر ياسيدتى.

فهتف جايلز بلهجة من لا يصدق ما سمع:

- إننا فى خطر؟!

- نعم وهذا ملخص سريع للقصة.. لقد عثرنا على دفتر بالقرب من مكان الجريمة وكان مسجلاً بهذا الدفتر عنوانين أحدهما عنوان المنزل رقم ٧٤ بشارع كالفر.

فقالت مولى:

- المنزل الذى قتلت فيه تلك المرأة؟

- نعم يامسز دافيز أما العنوان الآخر فقد كان يشير إلى قصر ماتكسويل.

فصاحت مولى:

- ماذا؟ عنوان هذا القصر؟

- نعم ولهذا رأى مدير الشرطة أن من الضرورى الاستفسار منكما عن صلتكما بقضية المزرعة.

فقال جايلز:

- لا علاقة على الإطلاق.. ربما كتب عنوان هذا القصر مصادفة.

فقال تروتر ببطء وهدوء:

إن مدير الشرطة لا يعتقد أن الأمر مجرد صدفة وكان يرغب فى الحضور بنفسه لولا سوء الأحوال الجوية ولأننى من هواة التزحلق على الجليد فقد أرسلت إليكما وألح على أهمية الحصول على معلومات كاملة عن أى شخص فى هذا الفندق. وطلب منا الاتصال به هاتفياً وأن أتخذ التدابير والإجراءات اللازمة للمحافظة على سلامة كل من فى الفندق.

فصاح جايلز قائلاً:

- سلامة كل من فى الفندق وهل تظن أن أحداً منا سيقتل هنا أيها المفتش؟

فقال تروتر معتذراً:

- إننى لا أرغب فى إزعاج تلك السيدة، ولكن الجواب هو نعم حيث إن مدير الشرطة يعتقد ذلك.

- ولكن ما هى الدوافع..

ولم يتم جايلز عبارته حيث إن تروتر قاطعه قائلاً:

- هذا هو ما جئت لكشف النقاب عنه.

- إن هذا ضرب من ضروب المستحيل.

- نعم ياسيدى لكن ينبغى أن نتخذ الاحتياطات اللازمة.

فقالت مولى:

- هل لديك شىء آخر ترغب فى الإدلاء به ياسيدى المفتش.

- نعم ياسيدتى.. فقد وجدنا فى إحدى صفحات الدفتر عبارة تقول (ثلاثة جرذان عمياء) ووجدت فوق جثة السيدة القتيلة ورقة فيها (هذه هى الأولى) وأسفلها رسم لثلاثة جرذان وإلى جانبها علامات موسيقية لمطلع أغنية خاصة بالأطفال وهى (ثلاثة جرذان عمياء).

وهنا راحت مولى تشدو بالأغنية بصوت واهن:

«ثلاثة جرذان عمياء.

انظر كيف تعدو

إنها تعدو وراء زوجة المزارع.

وهى...»

وتوقفت فجأة وصاحت تقول:

- هذا مخيف آوه إنه مخيف قلت إنه كان هناك ثلاثة أطفال أشقاء؟

- نعم يامسز دافيز طفل فى الخامسة عشرة من عمره وطفلة فى الرابعة عشرة وطفل فى الثانية عشرة وهذا هو الطفل الذى مات بسبب الإهمال والإجرام.

- ولكن ماذا حدث للطفلين الآخرين؟

أظن أن إحدى العائلات تبنت الطفلة ولكننا فشلنا فى العثور على أثر يرشدنا إليها. . أما الصبى فهو كما أعتقد قد بلغ الثالثة والعشرين من عمره وقد فقدنا أثره. . وسمعنا أنه كان مصاباً بالهوس. . وقد التحق فى الجيش وهو فى الثامنة عشرة من عمره. . ثم هرب من الجيش واختفى. . ويؤكد طبيب الجيش أنه كان مخبولاً.

فسأل جايلز:

- هل تظنون أنه هو الذى قتل مسز ليون وأنه مجرم مجنون وربما يأتى إلى هنا لارتكاب جريمة أخرى.

- بل إننا نعتقد أن هناك صلة ما بين أحد الأشخاص هنا وحادث مزرعة لونجريدج وإذا تمكنا من تحديد وكشف هذه الصلة أصبح يسيراً تفادى الخطر القادم.

واستطرد بقوله:

- أنت تقول ياسيد جايلز إنه لم تكن لك صلة بحادث المزرعة فهل ينطبق هذا القول عليك ياسيدتى .

- آه نعم. . . نعم.

- هل يمكنكما حصر أسماء جميع نزلاء الفندق

فذكر جايلز أسماء كل من مسز بويل والماجور متكالف ومستر كريستوفررين ومستر برافتشينى وراح تروتر يسجل هذه الأسماء فى دفتر .

ثم سأل:

- وماذا عن الخدم!

فأجابت مولى:

- ليس لدينا خدم وبتلك المناسبة يجب أن أسرع إلى المطبخ لأطهو البطاطس

وانطلقت مسرعة والتفت تروتر نحو جايلز وسأله:

- ماذا تعرف عن هؤلاء الناس ياسيدى؟

- أنا. .

ولاذ بالصمت قليلاً ثم قال فى هدوء:

- الحقيقة ليست لدينا أية معلومات عنهم ياسيدى المفتش

حيث كـتبت إلينا مسز بويل من أحـد فنادق بورنماوث وأما الماجور متكالف فقد كتب إلينا من ليمنجتون . . بينما بعث كريستـوفرين إلينا من أحد بنسيونـات كننجتون . . ولكن مستر برافتشيني فـقد هبط علينا فجأة حيث زعم أن سيارته تعرضت لحادث انقـلاب بسبب أكوام الجليد المتـساقط فلجأ إلينا.

- وإننى اظن أن فى حـوزة كل منهم بطاقـة شخـصيـة وبطاقة تأمين وأوراق أخرى.

- سوف أبحث أوراقهم ووثائقهم على أية حال.

فعلق جايلز بقوله :

- من حسن الطالع أن الأحوال الجوية ساءت كثيراً حيث إن القاتل لن يتمكن من الوصول إلينا. أليس هذا صحيحا؟

- هذا احتمال ضعيف للغاية.

- ماذا تقصد؟

- أقصد أن القاتل قد يكون موجوداً هنا.

- كست الدهشة وجه جايلز وقال:

- مازالت فى حاجة إلى توضيح.

لقد قتلت مسز جريج منذ يومين، وأقبل ضيوفك جميعاً خلال هذين اليومين.

- هذا صحيح. . لكنك لا تعرف أنهم حـجزوا غرفهم منذ وقت طويل فيما عدا مستر برافتشيني

فصاح تروتر وقال:

- هذه الجرائم تم وضع خطتها سلفاً.

- الجرائم؟ إن جـريمة واحـدة هى التى ارتكبت، فـما سبب توقعك لجريمة قادمة؟

- أنا لا أتوقع ارتكاب جـريمة أخـرى لأننى سأحـاول منعها، ولكنى أتوقع محاولات لارتكاب جرائم أخرى.

- إذا كان مـا ذكرته عن القاتل صـحيحًا فـإنك لن تجد أحداً فى مثل سنه سوى كريستوفررين

* * * * *

الفصل العاشر

أسرع المفتش تروتر إلى المطبخ محدثاً مولى قائلاً لها:

- هلا رافقتنى إلى قاعة المكتبة يامسز دافيز؟ إننى سوف ألقى كلمة على نزلاء الفندق، وقد تفضل مستر دافيز وذهب للإعداد وترتيب الأمر.

- حسناً.. وعنى فإننى سوف أنتهى من طهى البطاطس اللعينة التى تمنيت ألا يحضرها سير وولتر إلىّ من الولايات المتحدة الأمريكية.

لزم تروتر الصمت وقالت مولى:

- إننى لا أستطيع أن أصدق تلك الرواية التى رويتها إنها شديدة الغرابة حيث إنها....

فقاطعها قائلاً:

- لكنها قصة واقعية ولدينا حقائق مؤكدة.

فسألته فى فضول:

- هل لديك أوصاف القاتل؟

- إنه متوسط القامة ويرتدى معطفا أسود وقبعة خفيفة

وكان يخفى جزءاً من وجهه بكوفية من الصوف وصوته كان مزكوماً.

- إنها فى الواقع أوصاف تنطبق على الكثيرين.

وسكت لحظه ثم قال:

- لقد شاهدت هنا فى بهو الفندق ثلاثة معاطف سوداء وثلاث قبعات خفيفة.

- لا أظن أن أحد نزلاء الفندق جاء من لندن .

- أحقا؟

أسرع جايلز إلى إحدى الموائد وراح يتناول إحدى الصحف وقال:

- هذه جريدة الإيفينج ستاندار والصادرة من لندن بتاريخ ١٩ فبراير.. أى أنها صدرت منذ يومين وبالتالى فهذا يؤكد أن أحدهم جاء من لندن قبل يومين أليس كذلك؟

بهتت مولى وصاحت؟

- هذا عجيب من أين جاءت هذه الجريدة؟

- لا ينبغى أن تخدعك المظاهر يامسز دافيز.. إنك تجهلين حقيقة هؤلاء رغم أنهم يعيشون معك فى منزل

واحد لذلك لاحظت أنكما تفتقدان خبرات إدارة الفنادق أليس هذا صحيحاً؟

- نعم هو ذاك.

شعرت مولى فجأة أنها جاهلة وساذجة وبلهاء، وقال:

- وإننى أتصور أيضا أنكما تزوجتما منذ وقت قصير

فأجابت بعد أن أحمر وجهها خجلاً:

تزوجنا منذ عام وكان زواجًا مفاجئًا.

فقال وهو يبتسم:

- آوه يبدو أنه كان حبًا من النظرة الأولى.

- نعم تزوجنا بعد أن تعارفنا بأسبوعين فقط.

* * * * *

وطافت بخيالها تتذكر تلك الأيام الأربعة عشر الجميلة التى سبقت زواجها.

لقد شعرت حين رأت جايلز للمرة الأولى كأنها كانت تائهة فى صحراء وشاهدت سفينة تبحر فى نهر هادىء جميل، وعندما هبطت إلى أرض الواقع لاحظت أن تروتر ينظر إليها بعطف.

وقال:

أظن أن زوجك ليس من أهل هذه المنطقة .

- إنه من مقاطعة لتكولنشاير

كانت مولى تجهل الكثير عن طفولة جايلز وطبيعة نشأته وتكوينه لأنه كان لا يـميل إلى الحديث عن هذه الفـترة من حياته.

ربما كانت ذكرياته تؤلمه.. ألماً شديداً.

فقال تروتر:

- إنكما فى بداية العمـر. . ولهذا فأنتما تفتـقدان الخبرة والتجربة فى إدارة شئون أعمال هذا الفندق.

- لا أعلم ولكن أنا فى الثانية والعشرين من العمر.

أثناء ذلك دخل جايلز وقال:

- إن الاجتماع جاهز ياسيدى المفتش وهم فى انتظارك.

فقال تروتر:

- حسنا هذا سيوفر علينـا بعض الوقت هل أنت مستعد ياجايلز؟

حين دخل المفتش على الحاضـرين كان هناك نحو أربعة يتحدثون بصوت مرتفع، وكان أكثرهم انفعالاً هو كريستوفر

رين الذى عبر عن اسـتيائه من الموقف، وأنه يتحـرق شوقًا لسماع المزيد من المعلومات، فى أثناء ذلك كانت مسز بويل تقول فى غضب:

- لم أكن أتخيل أن بوليسنا عاجز عن الإمساك بتلابيب مجرم سفاح يجوب طول البلاد وعرضها.

أما مستر برافتشينى فقد كان يحرك يديه كثيراً كان يحاول أن يقول بيديه ما عجز عنه لسانه أمـام ضخامة صوت مسز بويل.

لكن الماجور متكالف كان قليل الكلام بعبارات مختصرة .. كان كل ما يرغب فيه هو معرفة بعض الحقائق.

وانتظر تروتر دقيـقتين ثم رفع يده بحزم، والعـجيب أن الجميع توقفوا عن الكلام وساد صمت رهيب .

ثم قال:

- أشكركم فأنـا أعتقـد أن مسـتر دافيـز قد لخص لكم أسبـاب قدومى إلى هذا الفندق. إننى فـقط أريد أن أعرف شيئـاً واحداً نعم شـيـئًـا واحـداً واود معـرفتـه على جناح السـرعة. من منكم كـانت تربطه عـلاقة بقـضيـة مزرعـة لونجريدج.

ساد السكون وتحولت الوجوه ناحية المفتش واختفى التوتر والانفعال.

وتكلم المفتش تروتر مرة أخرى وقال :

- أرجوكم افهمونى إن لدينا أسبابًا تؤكد أن خطرًا داهماً يحيط بأحدكم، ويجب أن أعرف من منكم الضحية القادمة حتى نستطيع إنقاذه.

ولم يتكلم أحد.

فقال تروتر:

- حسناً سوف أسألكم واحداً بعد الآخر. مستر برافتشيني..

وابتسم ابتسامة باهته ورفع يده معترضاً وقال:

- إننى غريب عن هذه المنطقة ياسيدى المفتش ولا أعلم شيئًا عما تتحدثون عنه.

فقال تروتر:

- مسز بويل.

فأجابت هذه السيدة:

- أنا فى الحقيقة لا أعرف لماذا يجب أن تربطنى علاقة بذلك الحادث المؤسف؟

- مستر رين.

فقال كريستوفر بصوت عال:

- لقد كنت صغيراً حين وقع حادث المزرعة، وبالتالى فأنا لا أتذكر شيئاً عنه بل لم أسمع به من قبل.

- ماجور متكالف.

فقال الماجور:

- لقد سبق لى أن قرأت عن الحادث فى الصحف وكنت أثناء ذلك مع فرقتى فى أدنبره.

فقال تروتر وهو يطوف ببصره بين النزلاء:

- أهذا هو كل ما لديكم ياسادة؟

خيم السكون وساد السكوت مرة أخرى كأن على رؤوسهم الطير فصاح تروتر فى يأس وقال.

- إذن لو أن أحدكم تعرض للقتل فلا يلومنّ إلا نفسه واستدار للوراء ناحية باب الغرفة وغادرها فعلق كريستوفر على الفور قائلاً:

- أيها السادة.. إنها حقا مأساة، ولكن هل لاحظتم وسامة هذا المفتش؟ إننى شديد الإعجاب بوسامة رجال البوليس حيث إن كل تصرفاتهم تؤكد مدى صلابتهم

وشجاعتهم وثقتهم بأنفسهم.. ولكن الموقف على أية حال مثير للغاية (ثلاثة جرذان عمياء) هل يعرف أحدكم نغمة تلك الأغنية؟

وراح يشدو بكلمات الأغنية بصوت هامس، فصرخت مولى دون أن تدرى فى وجهه وقالت:

- كف.. كف من فضلك

فدار كريستوفر على عقبيه وتأمل وجهها وقال ضاحكاً:

- لماذا كل هذا الفزع ياعزيزتى؟ إن هذه الأغنية هى علامتى المميزة.. إننى لم أتلق أى اتهام فى جريمة قتل قبل الآن وإذا اتهمت فسوف أجد فى هذا متعة كبيرة

فقالت مسز بويل:

إن هذا سخف إننى أكاد لا أصدق كلمة واحدة مما رواه لنا المفتش.

فقال كريستوفر فى دهاء:

- صبراً يامسز بويل سوف أتسلل وراءك وأحيط عنقك بيدى.

فقال جايلز فى غضب:

- إنك بهذا الهراء تذبح زوجتى يامستر رين ثم إن دعابتك ثقيلة وسخيفة.

وقال الماجور متكالف:

- إن الوقت غير مناسب للدعابة.

- ولم لا..؟ إن الأمر كله دعابة.. وربما هذا هو سر طرافتها.

ثم عاد يضحك مرة أخرى دون أدنى اعتبار لمشاعر الآخرين. وقال:

- إننى أتمنى أن تنظروا إلى وجوهكم فى المرآة وانصرف مسرعاً.

فتنفست مسز بويل الصعداء وهى تقول:

- إنه شبح مجنون عديم الذوق والأخلاق.

فقال الماجور:

- لقد روى لى أنه دفن تحت الأنقاض أثناء غارة جوية وظل مختبأ نحو ثمانى وأربعين ساعة، وربما هذا يفسر سلوكه أليس كذلك؟

فقالت مسز بويل فى جفاء:

ما أكثر المبررات التى يرفعها الناس لانهيار أعصابهم إننى تجرعت المرار فى الحرب أكثر من أى شخص آخر، ومع ذلك أعيش فى قوة وثبات ورباطة جاش.

فقال الماجور متكالف:

- ذلك من حسن حظك يامسز بويل .

- ماذا تقصد؟

فقال متكالف فى ثقة:

- أعتقد يامسز بويل أنك كنت الشخص المسؤل عن تهجير الأطفال إلى تلك المنطقة عام ١٩٤٠ أليس هذا صحيحا؟

ونظر إلى مولى فهزت رأسها بالإيجاب واحمر وجه مسز بويل غضباً وصاحت.

- وماذا فى ذلك؟

فقال متكالف وهو يدقق النظر فى وجهها:

- أنت المسؤل الأوحد عن إرسال هؤلاء الأطفال الثلاثة إلى مزرعة لونجريدج.

- ومن هذا الذى يحملنى مسؤلية ذلك ياماجور؟ لقد كان صاحب المزرعة وزوجته شخصين لطيفين أو ربما هذا ما خطر لى آنذاك، وكانا يتطلعان لاستضافة الأطفال فلا ينبغى على أحد أن يلومنى فأنا بالفعل غير مسؤلة عما حدث للأطفال بعد ذلك.

فصاح جايلز فى حدة؟

- إذن لماذا أخفيت كل ذلك عن تروتر؟

فأجابته:

- لا شأن للمفتش بهذا الأمر، ثم إننى أستطيع حماية نفسى

فقال متكالف فى حب:

- يجب يامسز بويل أن تحرصى على سلامتك وانصرف هو الآخر فغمغمت مولى وقالت:

- هذا صحيح.. لقد كنت أنت المسؤل الأول عن تهجير الأطفال فى تلك المنطقة إننى أذكر ذلك جيداً.

فنظر إليها جايلز فى استغراب وقال:

- هل كنت تعرفين ذلك يامولى؟

فقالت مولى وهى تنظر إلى مسز بويل:

- وكنت تعيشين فى البيت الأبيض الكبير أليس هذا صحيحا؟

فقالت مسز بويل فى أسى؟

- إن الجيش استولى على هذا البيت ودمره دماراً شاملاً

وهنا انفجر مستر برافتشينى ضاحكاً وقال بصعوبة:

- آسف . . إننى أرى أمامى مسرحية كوميدية .

وأثناء ذلك عاد المفتش تروتر، وبصره على برافتشينى وقال فى برود.

- يسعدنى أن يكون هناك سبباً منطقياً لهذا الضحك.

فقال برافتشينى معتذار:

- آسف ياعزيزى المفتش. آسف بالأصالة عن نفسى لأننى أفسدت ثمار المحاذير التى ألقيت بها على مسامعنا منذ قليل.

فهز تروتر كتفيه قائلاً:

- لقد بذلت ما فى وسعى لتوضيح الأمور. ثم استدار ناحية مولى وقال:

- هل يمكننى استخدام الهاتف؟

فقال برافتشينى:

- اكرر أسفى مرة أخرى وهاأنذا أنسحب من هذا المكان.

فقال جايلز:

- آوه ياله من رجل غريب الأطوار.

فقال تروتر:

- إننى أشم فى وجهه وسلوكه رائحة الإجرام ولا أستطيع أن أثق فيه إطلاقاً.

فصاحت مولى:

- أتعتقد أنه. . ولكن لا. . إنه عجوز فلا تخونك الأصباغ التى يحرص عليها حتى يبدو شاباً فتياً.

فقاطعها تروتر:

- دعك من كل هذه الاحتمالات، والآن ينبغى أن أتصل بالكابتن هوجين.

واتجه ناحيه التليفون فقالت مولى:

- للأسف التليفون معطل.

فهتف تروتر وهو يدور على عقبيه:

- ماذا؟

وأفزعت صيحته كل من صمعها.

وقال فى الحال:

- متى حدث ذلك؟

- لقد حاول الماجور متكالف استخدامه قبل حضورك.

- ولكنه كان يعمل منذ قليل. . وقد اتصل بك الكابتن هوجين أليس كذلك؟

- نعم.. كان ذلك فى حوالى العاشرة، ولكن يبدو أن سقوط الجليد أدى إلى قطع أسلاكه.

بدت علامات الدهشة والاهتمام على وجه تروتر وقال:

- آوه أخشى أن يكون أحدهم قام بقطعها عمداً.

- أتعتقد ذلك!

- يجب أن أتأكد من هذا.

وانصرف مسرعاً وتردد جايلز لحظة حتى لحق به وصاحت مولى:

- رباه.. إن موعد الغذاء قد حان، وينبغى أن أسرع وإلا فلن نجد شيئاً نتناوله.

وأسرعت بدورها إلى الخارج بينما غمغمت مسز بويل وقالت:

- ياله من فندق!! من الذى يوافق على دفع سبعة جنيهات للإقامة فى فندق كهذا.

الفصل الحادى عشر

راح المفتش تروتر يتعقب أسلاك الهاتف للوقوف على أسباب العطل التى أصابته منذ قليل وسأل جايلز:

- هل بحوزتكم وصلة داخلية؟

- نعم فى غرفة نومنا بالطابق الأول.. هل أذهب للاطلاع عليها؟

- أرجو ذلك على جناح السرعة.

وفتح تروتر النافذة ونظر من خلالها بعد أن تخلص من قطع الجليد فى حين أسرع جايلز إلى الطابق الأول وفى تلك الأثناء كان برافتشينى يقطع بقدميه قاعة الاستقبال ذهاباً وإياباً، ثم سرعان ما وقف أمام البيانو وفتحه وجلس على مقعد أمامه وراح يدق بإصبعه أغنيه : ثلاثة جرذان عمياء

انظر إليها كيف تجرى

* * * * *

وكان كريستوفر يتجول فى غرفته بحيوية وهو يصفر

بشغف، ثم سكت فجأة.. وراح يجلس على حافة فراشه ووضع وجهه بين يديه ويبكى كالأطفال.

- كلا.. لن أستطيع الاستمرار.

ثم تبدلت أحواله فجأة أيضاً ونهض من مكانه وبسط كفيه، وقال:

- يجب أن أستمر إلى النهاية.

ووقف جايلز بجوار جهاز الهاتف فى غرفة نومه، وقد أحنى قامته وراح يتعقب الأسلاك.

وفجأة شاهد قفاز مولى ملقى على الأرض، فالتقطه وما لبث أن شاهد تذكرة أتوبيس حمراء تسقط منه.. وتأمل جايلز التذكرة وهى تسقط على الأرض فتلون وجهه وانقلبت سحنته وتحول إلى رجل آخر.

مشى ناحيه الباب ببطء كأنه فى حلم.. ففتحه وراح ينظر إلى الدهليز المؤدى إلى درج السلم، وكانت مولى قد فرغت من تقشير البطاطس ووضعتها فى إناء، وكان الإناء فوق النار ثم ألقت نظرة على الغاز، وبدت علامات الاطمئنان على وجهها. كان كل شىء يسير بانتظام طبقاً للتوقيت المحدد.

التفتت مولى إلى مائدة الطبخ ووقع بصرها على جريدة الإيفننج ستاندارد التى صدرت منذ يومين فقط

وقطبت ما بين حاجبيها لعلها تستطيع أن تتذكر من الذى أتى حاملاً هذه الجريدة من لندن، وفجأة ضربت جبينها بيدها وصاحت: كلا كلا.. لا يمكن أن يكون ذلك.

والتفتت حولها فى ذهول وهى تقول: كلا كلا.. من المستحيل أن يكون ذلك أبداً.

واتجهت ناحيه الباب كمن يمشى نائماً فترامى لسمعها صفير الأغنية الكئيبة فسرت رعشة بجسدها.

فعادت إلى المطبخ ونظرت حولها مرة أخرى ثم سرعان ما عادت إلى الباب.

* * * * *

راح الماجور متكالف يهبط درج السلم الخلفى فى هدوء حتى بلغ البهو.. وظل واقفاً نحو دقيقتين ثم فتح الدولاب الكبير الكائن تحت درج السلم ونظر بداخله

كان الهدوء رهيباً حيث لا أثر لأى شخص هناك، وكانت الظروف مناسبة لإتمام ما أراد أن يفعله، وجلست

مسز بويل فى قاعة المكتبة وأدارت زر جهاز الراديو فى محاولة منها للتخلص من الملل الذى تسرب إليها.

كانت قد فتحت الراديو على حديث فنى يدور حول أغنيات الأطفال وهذا الحديث لم تكن ترغب فى الإنصات إليه فأدارت المؤشر فسمعت صوتاً رقيقاً يقول:

- ينبغى أن نفهم سيكولجية الخوف على حقيقتها لنفرض مثلاً أن المستمع كان جالساً وحيداً بمفرده فى غرفة ما ثم فتح باب الغرفة خلفه فى هدوء وحذر

وعند تلك العبارة فتح باب غرفة المكتبة فالتفتت مسز بويل بسرعة ولهفة ونظرت وراءها ثم تنهدت فى اطمئنان وقالت:

- آوه .. أنت؟ ما هذه البرامج التافهة التى يذيعونها فى المذياع إننى فشلت فى العثور على برنامج يستحق الانتباه .

- لو كنت مكانك لما أرهقت نفسى فى البحث عن برنامج أستمع إليه يامسز بويل.

فقالت:

- وماذا أفعل وأنا قد صرت رهينة المعتقل الذى يتربص

به القاتل فى أية لحظه؟ أنا لا أقول ذلك لأننى صدقت هذه الرواية الساذجة الحمقاء التى. .

- إذن أنت تكذبين الرواية يامسز بويل؟

- ماذا تقصد بسؤالك؟

والتف حزام المعطف بسرعة حول عنقها قبل أن تتلقى جواباً على استفسارها.

وامتدت يد إلى مؤشر الراديو فعلى صوت البرنامج الذى ما زال يتحدث عن سيكولجية الخوف حتى يشوش على أية جلبة قد تصدر من مسز بويل.

ولكن لم تصدر من مسز بويل أية جلبة حيث كان القاتل شديد الإتقان فى تنفيذ مهمته الخطيرة.

الفصل الثانى عشر

وقف الجميع فى داخل المطبخ وعلامات الرعب تكسو وجوههم رغم أن رائحة الشواء كانت تفوح من بين أرجاء المطبخ، كانوا أربعة رجال سيطر الرعب عليهم جميعاً وراح كل منهم ينظر إلى زميله فى جزع وهلع.

أما مولى فلم تكن أسعد حظاً منهم بل كانت شاحبة اللون زائغة البصر لا تستطيع حمل أقداح الشاى، وقد ألح عليها المفتش تروتر أن تتناول قدحاً منه.

وراح تروتر يتفحص وجوه الرجال لعله يستطيع أن يكشف شيئاً غامضاً.

وفجأة قال المفتش:

– لقد قتلها منذ لحظات قبيل وصولك يامسز دافير.. فهل أنت على يقين من أنك لم تسمعى شيئاً قبل وصولك للمكتبة.

فأجابت مولى بصوت ضعيف:

– سمعت صفيراً. ثم صوت باب يتم إغلاقه بهدوء

– أى باب تقصدين؟

- لا أعرف.

- تذكرى يامسز دافيز هل كان فى الطابق الأول أم الأرضى، كان ناحية اليسار أم اليمين؟

- لا أدرى . . بل إننى غير واثقة من أى شىء.

فقال جايلز للمفتش فى حدة:

- هلا توقفت عن ملاحقتها إنها توشك على الانهيار؟

- إننى أتولى التحقيق فى جريمة قتل يامسز دافيز.

- إننى لا أستخدم وظيفتى العسكرية ياسيدى المفتش.

- هدىء من روعك.

- لقد حذرتكم جميعاً من أن هناك جريمة قتل توشك أن تقع هنا، ولأنكم تعاملتم باستخفاف مع محاذيرى فقد وقعت الجريمة أمام أعينكم وربما نحن فى طريقنا إلى ارتكاب جريمة أخرى.

فقال جايلز:

- جريمة أخرى.

قال تروتر :

- نعم وهذا أمر مؤكد. لأن الأغنية تقول كان هناك ثلاثة جرذان عمياء.

فعلق جايلز متسغرباً:

- تقصد جريمة لكل واحد من الجرذان؟

ولكن هذا يستدعى وجود شخص آخر كانت له صلة بالحادث.

- ولكن لماذا تتوقع حدوث جريمة أخرى؟

- لأن الدفتر الصغير لم يكن به سوى عنوانين أحدهما هو المنزل رقم ٧٤ بشارع كالفر وكانت الضحية توجد بهذا المنزل وتم قتلها فعلاً، وأما العنوان الثانى فهنا فى هذا القصر وهو مكان مناسب لارتكاب أكثر من جريمة.

- هذا سخف ياتروتر فليس منطقياً أن يجتمع هنا شخصان كانت لهما صلة بالحادث.

- لو أننا أخذنا فى الاعتبار بعض الظروف لكان كلامنا صحيحاً بل ومنطقياً يادافيز

ثم التفت ناحية الآخرين وقال:

- لقد سمعت منكم عن الأماكن التى كنتم تشغلونها عند مقتل مسز بويل، وسوف أستعرض الآن هنا أقوالكم مستر كرستوفر. . هل قلت إنك كنت فى داخل غرفتك حين سمعت صرخه مسز دافيز.

- نعم ياسيدى المفتش.

- وماذا عنك يامستر دافيز. . هل كنت مشغولاً فى فحص وتعقب أسلاك الهاتف؟

- نعم.

فقال مستر برافتشينى إنه كان يعزف على البيانو فى قاعة الاستقبال.

- هل سمعك أحد وأنت تعزف؟

- كنت أعزف بهدوء

- أية أغنية عزفت؟

ابتسم وقال: ثلاثة جرذان عمياء . . نفس النغمة وهو لحن استحوذ على اهتمام الآخرين هنا.

فقالت مولى:

- إنه نغم سخيف.

فسأل متكالف:

- وأسلاك التليفون ماذا وجدت بشأنها

فقال تروتر:

قطعت عمداً لقد اكتشف ذلك أثناء صرخات مسز دافيز.

فقال كريستوفر رين:

هذا جنون كيف يتصور القاتل أنه يستطيع النجاة؟

ثم استطرد قائلاً:

ربما لا يعتقد أننا سنمسك به، أو ربما ظن أنه أكثر منا ذكاءاً ودهاءاً.

فقال جايلز:

- يبدو أننا نتحدث فيما لا جدوى منه.

- نعم هذا صحيح. . إن حدثينا سيركز فيما بعد على كلمتين هما القتل والخطر فمن خلالهما ينبغى أن نفكر فى التطورات المستقبلية. والآن دعنى أتأكد من تصرفاتك وتحركاتك ياماجور تقول إنك كنت فى القبو . . لماذا؟

فأجاب الماجور:

- لا يوجد فى واقع الأمر سبب جوهرى، فقد كنت أتجول فى ردهة الفندق ونظرت بداخل الدولاب الموجود تحت السلم، وفجأة التفت فرأيت باباً صغيراً بجانب الدولاب وحدث أن قمت بفتح الباب فشاهدت سلماً مكوناً من عدة درجات وصعدت درجاته القليله فوجدتنى داخل قبو فسيح.

ثم نظر إلى ناحية جايلز واستطرد يقول:

- إن فى هذا القصر العتيق قبواً رائعاً ياجايلز آوه لم أكن أتصوره هكذا.

فقال تروتر بحدة:

- هذا ليس موضوعنا حالياً ياماجور متكالف إننا بصدد التحقيق فى جريمة قتل كانت إحدى النزيلات هنا هى الضحية.

أردف يقول:

- هل يمكنك أن تسمعنى قليلاً ياجايلز؟ إننى سوف أدع باب المطبخ مفتوحاً.

قال ذلك ثم غادر المطبخ.

بعد ثوان سمعوا صوت باب يغلق بصوت خافت وعاد تروتر ووقف بباب المطبخ وهو يقول:

- هل هذا هو الصوت الذى ترامى لمسامعك يامسز دافيز؟

فكرت برهة ثم قالت:

- أظن .. أظن أنه كذلك

- إنه صوت باب الدولاب الموجود تحت السلم، وربما

اجتاز القاتل البهو بعد أن ارتكب جريمته فى نفس الوقت الذى غادرت فيه المطبخ، فأسرع إلى الدولاب واختبأ بداخله.

- إذا كان ذلك كذلك فمن المؤكد أن بصماته ما زالت عالقة بداخل الدولاب.

فقال الماجور متكالف:

- إن بصماته موجودة فعلاً بالدولاب .

فقال تروتر:

- هذا أمر طبيعى ونحن الآن نعرف أسباب وجودها هناك.

فقال جايلز:

- اسمعنى أيها المفتش.. لنفرض أنك تتولى التحقيق فى هذه القضية ولكن هذا الفندق هو فى الأساس فندقى وأنا المسؤل عنه وعن سلامة نزلائه، إذن أليس من الضرورى أن تتخذ بعض الإجراءات والتدابير اللازمة من أجل حماية النزلاء؟

- ماذا تقصد يامستر دافيز؟

- دعنى أتحدث بصراحة.. إن فى استطاعتنا أن نحجز على الشخص الذى تحوم حوله الشبهات.

قال ذلك وعيناه على كريستوفر رين.

فتقدم كريستوفر رين إلى الإمام بضع خطوات وقال:

- هذا أسلوب خطأ إنكم تريدون أن تحملونى مسؤلية جريمة أنا برىء منها وهذا ظلم لا أقبله.

فعلق متكالف:

- هدىء من روعك يابنى.

وتقدمت مولى إلى الأمام، وقالت وهى تربت على كتف الشاب:

- لا داعى للانفعال ياكريستوفر .. إننا لن نظلمك أبداً مهما حدث.

واستدارت ناحية تروتر وقالت:

- أرجوك طمئنه يا سيدى المفتش.

فقال المفتش:

- إننا لا نتهم احد ولن نلفق أية تهمة لأى شخص برئ.

قالت مولى مرة أخرى:

- أخبره أنك لا تريد اعتقاله.

فقال تروتر:

- إننى لن أعتقل أحداً فلابد أن نحصل على أدلة ونحن نفتقدها كما ترون.

فقال جابلز:

- ماذا دهاك يا مولى وأنت أيها المفتش إن هذه الأوصاف التى وردت عن شخصية القاتل إنما تنطبق كلها على..

فقاطعته مولى وقالت:

- على رسلك يا جايلز.. لا داعى للتسرع.

واستطردت تقول للمفتش تروتر:

- هل يمكننى أن أتحدث إليك أيها المفتش؟

فقال جايلز فى ضيق:

- إذن سأنتظر هنا.

فقالت مولى:

- كلا يا جايلز.. تعال معنا.. أرجوك

فصاح جايلز بعد أن تلون وجهه:

- أنا لا أعرف ماذا أصابك يا زوجتى.

وتبع مولى والمفتش إلى خارج المطبخ وأغلق الباب وراءه بعنف.

وفى هذه اللحظة قال تروتر:

- نعم يا مسز دافيز.. ماذا تريدين منى؟

- اسمعنى يا مستر تروتر.. حين حدثتنا عن قضية مزرعة لونجريدج يبدو أنك ظننت أن أكبر الأشقاء الثلاثة هو الذى يرتكب هذه الجرائم، ولكنك أخطأت فى هذا الظن.

- هذا صحيح يا مسز دافيز.. ولكن كل الاحتمالات تتجه ناحيته خاصة أنه مهووس وهارب من الجيش وتقرير الطب النفسى يؤكد ذلك.

فقالت مولى:

- أعرف كل هذا.. وأعرف أيضاً أن جميع الأدلة تشير إلى كريستوفر إلا أننى أشك فى ذلك لابد أن هناك احتمالات أخرى.. ألم يكن لهؤلاء الأطفال أقارب؟ أين أبوهم مثلاً؟

- نعم.. لكن الأم رحلت عن الدنيا والأب كان مجنداً خارج البلاد.

- إذن أين يوجد أبوهم الآن؟

- لا نملك أية معلومات ربما ترك الخدمة فى العام الماضى.

- إذا كان الابن مهوساً فمن الممكن أن يكون الأب كذلك.

- ذلك جائز.

- إذن من الممكن أن يكون القاتل فى متوسط العمر أو طاعناً فى السن ولا تنسَ أن الماجور متكالف إضطرب بشدة حين علم أن البوليس اتصل بنا هاتفياً، وللأسف فقد كان اضطرابه واضحاً دون لبس أو غموض

فقال المفتش فى ثقة:

- أرجو منك أن تتأكدى أننى وضعت جميع الاحتمالات منذ بداية الأمر.. فكرت فى أكبر الإخوة واسمه جيم كما أنى فكرت فى الأب بل وفى الأخت لأن من المحتمل أن يكون القاتل امرأة. خلاصة القول أننى لم أترك احتمالاً يجول بخاطرك، وربما كانت فى خاطرى فكرة كاملة لكنها تفتقد الدليل والمشكلة الآن أننا أصبحنا فى زمن صعب حيث يتزوج الناس على جناح السرعة دون أن يكلفوا أنفسهم عناء السؤال والتقصى عن الأسرة وتعاملها والأحوال الإجتماعية. الشاب يقول مثلاً إنه طيار أو ضابط

فتثق الفتاة فيه ثقة بلا حدود، ثم يتبين لها بعد فترة أنه هارب من الجيش أو أنه محاسب مختلس أو أنه متزوج ولديه أطفال.. إننى أعرف ماذا تقصدين ولكن على أية حال فالقاتل يتمتع بجرائمه.

الفصل الثالث عشر

بعد هذا الحوار العصيب غلى الدم فى عروق مولى التى شعرت أنها فقدت حياتها التى كانت تعيش من خلالها زوجة وربة بيت حتى حدث ما حدث من جرائم قتل تكاد تدفعها للجنون، وها هى تتطلع لتلك الأيام الماضية بعيداً عن هذا الكابوس المفزع.

* * * * *

دارت كل هذه الخواطر فى رأسها وهى داخل المطبخ الذى فاحت منه رائحة الطعام الذى زكم أنفها، وأثناء ذلك فتح باب المطبخ فنظرت خلفها فرأت كريستوفر رين يتقدم نحوها بوجه شاحب وأنفاس لاهثة وهو يقول:

- هل علمت ما حدث يا عزيزتى؟ لقد قام أحدهم بسرقة أدوات التزحلق على الجليد الخاصة بالمفتش

فبهتت مولى وصاحت:

- كيف؟ مستحيل.. مستحيل.

ثم أردفت تقول:

- كيف.. إن الذى فعل ذلك ليس هو القاتل؟ لأن القاتل يريد أن يغادر المفتش الفندق.

- إن جايلز وضعها بنفسه فى الدولاب لكنه لم يجدها.

- شئ غريب أليس كذلك؟

فضحك كريستوفر وقال:

- إن المفتش يكاد ينفجر غيظاً إنه يتهم الماجور، ولكن الماجور أقسم أنه لم يرها حين فتح الدولاب

ثم تقدم نحوها قليلاً وقال بصوت واهن:

- هل تسمعين رأيى؟ إن هذه الأحداث بدأت تحطم أعصاب المفتش.

- بل إنها حطمت أعصابنا جميعاً.

- أما أنا فلا حيث إننى أرى أنها مثيرة ومدعاة للضحك والسخرية منكم جميعاً.

علقت مولى فى استياء:

- بمقدورك أن تقول ذلك لأنك لم تكن أول من رأى جثة مسز بويل.. إن صورتها لا تزال عالقة فى ذهنى، ولن أنسى صورتها ما حييت فقد كان وجهها محتقنًا ومتورمًا بشكل فظيع.

فمر بجسدها رعشة خفيفة وربت كريستوفر بيده على كتفيها وقال:

- أنا آسف.. أنا لم أفكر فى كل هذا.

قالت مولى بصوت متحشرج:

- كان كل شئ هادئاً.. الطهى والبيت والمطبخ ولكن فجأة عادت الذكريات وكأنها كابوس.

نظر إليها كريستوفر فى عطف وهو يقول:

- يبدو أننى أحمق فقد تسببت فى إثارة مواجعك.

وحاول أن يغادر المطبخ إلا أنها قالت له:

- كلا.. لا تذهب.

فدار دورة كاملة وهو يقول:

- أتقصدين ذلك حقاً؟

- أقصد ماذا؟

- ألا تريديننى أن أنصرف؟

- نعم لأننى لا أرغب فى أن أكون بمفردى إننى أشعر بالخوف.

وانهمكت مرة أخرى فى إعداد الطعام بينما جلس كريستوفر على المائدة يراقبها ثم قال:

- إن هذا غريب حقاً.

- ماذا؟

- إننى أتعجب لأنك لا تخافين من وجودى معك أنت لست خائفة منى أليس كذلك؟

فهزت كتفيها وقالت:

- نعم لست خائفة منك.

- على الرغم من أننى الشخص الوحيد الذى تنطبق عليه أوصاف القاتل؟

- نعم لأن هناك احتمالات أخرى ذكرتها للمفتش.

- وهل شاطرك الرأى بشأنها؟

فأجابت مولى بعد تردد:

- لم يستبعدها.

* * * * *

وتذكرت ما قاله المفتش من أن يعرف ماذا تقصد وأن القاتل مهوس وأنه يتمتع بما يفعله.

وفجأة التفتت لكريستوفر وقالت:

- هل تشعر بمتعة حقاً لما يحدث هنا؟

صاح:

- آوه يا إلهى كيف تقولين ذلك؟

- أنا لم أقل ذلك إنما المفتش تروتر.

- إننى أكره هذا الرجل لأنه يحاول أن يقنعك بأشياء لا أساس لها من الصحة.

جلست وقد وضعت وجهها بين كفيها فى يأس فتقدم كريستوفر منها ورفع يدها وقال فى حنان:

- ماذا دهاك يا مولى؟ تكلمى.

سمحت له أن يجلس على مقعد مجاور لها وقد بدا أمامها شاباً هادئ الطباع عاقلاً رصيناً.

وعاد يقول:

- ماذا حدث يا مولى؟

نظرت إليه طويلاً وكأنها تفحصه بعناية ثم سألته:

- منذ متى تعارفنا يا كريستوفر؟

- منذ يومين إن كنت أشعر كأننا تعارفنا منذ سنوات طويلة أليس كذلك؟

- نعم ألا يعد هذا شيئاً غريباً؟

– ربما ولكن قد يكون سبب ذلك أن كلانا يتعاطف مع الآخر حيث إن الشقاء هو السمة المشتركة بيننا.

فقالت له فى هدوء وثقة:

– أعتقد أن كريستوفرين ليس هو اسمك الحقيقى أليس كذلك؟

– نعم.

– لماذا فعلت ذلك؟

– تقصدين تغيير اسمى؟ إنها نزوة أو رغبة راودتنى لمجابهة الحياة لقد كانوا ينادوننى فى المدرسة بهذا الاسم فأعجبنى ربما توارد أسماء فقط.

– إذن هلا ذكرت لى اسمك الحقيقى؟

– لا داعى فلن يقودك إلى أى شئ فالواقع أننى لست مهندساً بل هارباً من الجيش.

فى تلك اللحظة شعرت مولى بالرعب فلاحظ كريستوفر نظرات الرعب تشع من عينيها فقال:

– نعم مثل القاتل المجهول تماماً.. ألم أقل لك إن كل أوصافه تتشابه مع أوصافى؟

فقالت مولى:

– لا تكن ساذجا. لقد أخبرتك أننى لم أرتاب فى أمرك ولم يساورنى الظن فى أنك القاتل بل أريدك أن تحدثنى عن نفسك كثيراً لماذا هربت من الجيش؟ هل هى أعصابك؟

– تقصدين الخوف؟ أنا لم أشعر بالخوف إطلاقاً وجميع الحروب التى شاركت فيها كنت نموذجاً للمقاتل الشجاع إلا أن سبب هروبى من الجيش كانت أمى.

– أمك؟

– نعم لقد تعرضت لغارة جوية دفنتها تحت الأنقاض حتى لفظت أنفاسها، الأمر الذى أصابنى بالجنون كأننى أنا الذى دفن تحت هذه الأنقاض، وهكذا تبدلت الأمور فى عينى واسودت الدنيا أمامى.

ووضع رأسه بين يديه وقال بصوت خافت:

– حين أخرجوها من تحت الأنقاض رأيتها جثة هامدة كانت صورة بشعة لا نظير لها وبعدها شعرت أننى فقدت كل ما أملك فى هذه الدنيا وتملكنى اليأس.

* * * * *

وتوقف عن الاسترسال فى الكلام، ورفع وجهه فلاحظت مولى أن أمامها رجلاً تجمعت فى ملامحه كل معالم اليأس القاتل المدمر فقالت له فى حنان:

- ينبغى أن تقاوم هذا الإحساس المدمر بمقدورك أن تبدأ حياتك من جديد.

- وهل هذا ممكن؟

- طبعاً إنك فى مقتبل العمر.

- لكننى بلغت نهايتى.

- كلا بعض الناس شعروا أحيانا بذلك لكنهم استطاعوا القفز على أحزانهم وانتصروا على عجزهم وعادوا مرة أخرى للحياة.

- هل ساورك شعور كهذا يا مولى؟ يبدو لى أنك واجهت تجربة مماثلة لتجربتى.

- نعم.

ماذا عنها؟

- كنت مخطوبة لشاب طيار ولقى حتفه فى الحرب.

- هل كانت هناك مأساة أخرى؟

- نعم تعرضت لصدمة عنيفة وأنا صغيرة وجاءت حادثة مقتل خطيبى فضاعفت من يأسى وجراحى.

فقال كريستوفر وهو يتأملها:

- ثم ظهر جايلز فى حياتك بعد ذلك.

- نعم.

وهنا لاحظ كريستوفر ابتسامة ترتسم على شفتيها كأنها فتاة فى مرحلة المراهقة وقالت:

- جاء جايلز فشعرت معه بالأمان والاطمئنان

ولكن سرعان ما تلاشت الابتسامة وتجهم وجهها مرة أخرى فهتف الشاب وقال:

- ماذا أصابك يا مولى؟ ماذا يخفيك؟ أنت خائفة أليس هذا صحيحا؟

فهزت رأسها إيجاباً.

قال:

- هل لهذا الخوف علاقة بجايلز؟ هل فعل شيئاً أو قال لك شيئاً أخافك؟

- ليس جايلز إنما الرجل المخيف الآخر.

- من الذى تقصدينه؟ هل تقصدين برافتشينى؟

- كلا. كلا. . أقصد المفتش تروتر.

- المفتش تروتر؟

- إنه يشير إلى أشياء تارة غمزاً وتارة لمزاً تتعلق كلها بجايلز. . أفكار غريبة. . إننى أكرهه. . اكرهه.

قطب كريستوفر حاجبيه فى دهشة وقال:

- جايلز؟ جايلز؟ آوه إنه من نفس سنى يا إلهى إن الأوصاف تنطبق عليه أيضاً.

ولكن اسمعينى جيداً يا مولى إن هذا هراء فقد كان جايلز معك هنا حين قتلت سيدة لندن.

لاذت مولى بالسكوت ولم تجبه فقال:

- ألم يكن هنا؟

- كلا. . لقد قضى هذا اليوم بالذات فى لندن بسيارته وقد جاء متأخراً بحجة شراء نوع من الأسلاك ولهذا أنا أعتقد أن. . أن. .

- أن. . ماذا؟

فمدت مولى يدها ببطء وتناولت جريدة الإيفنينج ستاندارد التى كانت ملقاه على المائدة وأشارت إلى تاريخها فقرأ كريستوفر:

«طبعة لندن» بتاريخ أمس الأول.

قالت مولى:

- كانت هذه الجريدة فى جيبه حين حضر مما يؤكد وجوده فى لندن فى ذلك اليوم.

تأملها كريستوفر بإمعان ثم نظر إلى الجريدة حتى أطلق صفيراً من شفتيه حتى أمسك عنه خاصة أن الوقت لم يكن مناسباً لترديد ذلك النغم.

تغيرت لهجته فجأة ثم قال:

- ماذا تعرفين عن جايلز؟

- اسكت. اسكت فأنا أشبه بالفتيات اللاتى تحدث عنهن المفتش وقد وقعن فى شباك بعض الشباب الذى غرر بهم.

- إنهن يصدقن أكاذيبهم.

- أظن أن هذا صحيح.

- لا تقل هذا أرجوك حتى لا أصدق بدورى وأرتاب فى أمر جايلز.

وتوقفت فجأة عن الحديث حيث دخل عليهما جايلز وهو يقول فى أسى:

- هل قطعت حواركما؟

فابتسم كريستوفر وقال:

- كنت أتعلم فنون الطهى.

- أهذا صحيح؟ اسمعنى يا رين أن المحادثات الجانبية فى مثل هذه الظروف لا داعى لها هل فهمت؟

- ولكن..

- نعم ابتعد عن زوجتى فهى لن تكون الضحية القادمة.

قال كريستوفر:

- إن سلامتها تمثل أهمية شديدة لى أيضاً يا جايلز.

- اتركها وشأنها إنها زوجتى وأنا المسؤل عن سلامتها والآن هلا غادرت هذا المطبخ الآن؟

فقالت مولى:

- أرجوك أذهب يا رين الآن.

مشى كريستوفر عدة خطوات وهو يقول لمولى:

- لن ابتعد عن المطبخ.

فهم جايلز معنى عبارته فصاح يقول:

- أخرج من هنا.

انفجر كريستوفر ضاحكاً فى سخرية وقال:

- هدئ من روعك يا كابتن.

وخرج وأغلق الباب وراءه ثم تحول جايلز إلى زوجته وصرخ فى وجهها وقال:

- ماذا أصابك يا مولى؟ هل أصابك مس من الجنون؟ كيف تجلسين معه بمفردك فى مكان مغلق كهذا؟

- إنه ليس مجرماً أو معتوها وعلى أية حال أطمئن أنا أعرف كيف أحمى نفسى منه.

فضحك جايلز فى استخفاف قائلاً:

- نفس الكلمات التى رددتها مسز بويل.

فصرخت مولى:

- لا داعى أن تذكرنى بها.

- آسف يا عزيزتى إننى لا أعرف لماذا طاب لك هذا المجنون؟

- إننى أشفق عليه.

- تشفقين على قاتل مجنون؟

رمقته بنظرة ذات معنى وقالت:

- نعم يمكننى الإشفاق على من هم مثله.

- ثم كيف تناديه باسمه مجرداً؟ أين الكلفة؟ هل تلاشت؟

- كل الناس ينادون بعضهم البعض بدون ألقاب فى هذه الأيام.

- وهل تتلاشى الكلفة بعد ثمانى وأربعين ساعة أم كنت تعرفينه من قبل؟

نظرت إليه فى ضيق وقالت:

- هل أنت معتوه؟ ماذا تقصد ياجايلز؟

- أقصد أن ثمة صداقة قديمة بينكما وأنت لا تعترفين بها.

- يبدو أن مسًا من الجنون قد أصابك فعلاً.

- أنا واثق أنه يعرفك من قبل، وإلا لماذا أتى إلى هذا المكان المنعزل عن العالم؟

- ولماذا لم تندهشى من وجود الماجور والرجل الأجنبى؟

- إن لهؤلاء المجانين جاذبية خاصه تجذب النساء حدثينى عنه كيف ومتى تم التعارف بينكما؟

- أنت عجيب ياجايلز أقسم لك أننى لم أعرفه من قبل.

- هل ذهبت إلى لندن واتفقت معه على الحضور والتظاهر بعدم المعرفة.

- أنت تعرف أننى لم اذهب إلى لندن منذ أسابيع.

- هذا رائع.

قال ذلك وهو يخرج من جيبه قفازاً فقدمه إليها وهو يقول:

- أليس هذا قفازك الذى كان فى يدك أمس الأول؟ يوم أن ذهبت أنا إلى سيلهام لشراء حزمة من الأسلاك.

قالت مولى وهى تنظر إليه فى ثقه:

- نعم استخدمته يوم ذهابك لسيلهام.

- لقد أخبرتنى يامولى أنك ذهبت إلى القرية فما معنى وجود هذا القفاز؟

وأخرج من القفاز تذكرة أتوبيس حمراء، ونظر إليها نظرات رجل شرطة لأحد اللصوص.

وخيم السكوت بينهما لحظات. قطعه جايلز بقوله:

- لقد ذهبت إلى لندن أليس كذلك؟

فرفعت رأسها فى إصرار وتحد وقالت:

- نعم لقد ذهبت إلى لندن فعلاً.

لكى تلتقى مع هذا المعتوه كريستوفر رين؟

- كلا لم ألتق به هناك إطلاقاً.

- إذن لماذا ذهبت إلى لندن؟

- لن أذكر سبب ذلك ياجايلز الآن.

- آه.. أنت تفكرين فى تدبير سبب منطقى.

ثم قال:

- أننى اكرهك.. اكرهك يامولى

فقالت:

- لكنـى لا اكـرهـك وإن كنت أتمنى أن أبادلـك نفس الشعور.

- لقد أصبحت أشعر بأنك غريبة عنى.

- وأنا أيضاً أشعر بأنك رجل كذبت على.

قال:

- هل كذبت عليك يوما؟

قالت. بعد أن ضحكت:

- هل تعتـقد أننى صدقت روايتك عن شـراء الأسلاك؟ أنت أيضاً كنت فى لندن فى نفس اليوم.

فقال:

- يبدو أنك شاهدتينى هناك ولهذا لا تثقين بشخصى.

قالت:

- أثق بك؟ أنا لا أثق بأحد بعد اليوم.

* * * * *

لم يشعر الزوجـان بباب المطبخ حين فتح بهـدوء فسعل برافتشينى كى يؤكد لهما وجوده وغمغم قائلاً فى خجل:

- ما أبشع أن يـرى الإنسان نفسـه فجـأة بين عاشـقين يتشاجران.

فقال جايلز ساخراً:

- عاشقان؟ آه هذا صحيح!!

- إننى أعرف شعورك يا بنى حين كنت فى مثل سنك على أية حال لقد جئت لكى أخـبركما أن المفتش يرغب فى حضوركما معنا فى قاعة الاستقبال.

ولاذ برافتشينى بالصمت قليلاً ثم قال:

- يبدو أن لديه أفكاراً جديدة إنه رجل نشيط لا يمل من عرض كافة الاحـتمالات، وهو فى الواقع رجل لا يمل من

العمل ويبذل المزيد من الجهد، فهو شديد الذكاء والدهاء أيضاً.

فقالت مولى:

- اذهب أنت ياجايلز ودعنى أفرغ من إعداد الطعام فالمفتش يمكنه العمل بدونى.

فقال برافتشينى:

- بمناسبة الحديث عن الطعام هل سبق لك أن طهوت كبد الدجاج على قطعة من الخبز المخلوط بالخردل.

فقال جايلز:

- إننا لا نجد الخردل الفرنسى فى هذه الأيام هيا بنا يابرافتشينى.

فقال برافتشينى:

- هل أظل معك لأساعدك؟

فقال جايلز:

- كلا .. إنك سترافقنى إلى قاعة الاستقبال.

فضحك برافتشينى وقال:

- أتلاحظين يامسز دافيز أن زوجك يرتاب فى أمرى

ويخشى عليك منى ظناً منه أننى القاتل المجهول، وهاأنذا سأخرج حتى أبدد شكوكه.

قال ذلك وقد أحنى قامته وقبل أنامله وأرسل لها قبله فى الهواء فتلون وجهها حياءاً.

وقال برافتشينى يحدث جايلز:

- إننى إنسان عاقل جداً أيها الشاب ولكن حذارى لا تغامر ولا تدع الظروف تتحكم فى مصيرك.. إننى أستطيع أن أثبت لك براءتى ولكن لن أفعل ذلك أبداً.

قال ذلك وهو يشدو بأغنية الجرذان.

فصاحت مولى وقالت:

- آوه أرجوك ياسيدى لا داعى لهذه الأغنية العقيمة.

- معذرة إنها ترسخت فى ذهنى كالأطفال الذين يعشقون الحكايات المزعجة تأملى هذه الكلمات.

وقطعت المرأة ذيول الجرذان بسكين حادة نعم إن الأطفال يعشقون العنف والقسوة وبمقدورى أن أروى لك عن.

فقاطعته مولى:

- اسكت أرجوك.. يبدو أنك أيضا تعشق رائحة الدم والعنف.

وضحكت ضحكة عصبيه فقال جايلز:

- هيا بنا يامولى إلى قاعة الاستقبال قبل أن يضيق صدر المفتش .. دعيك من الطهو الآن إن الجريمة أهم من الطعام.

فقال برافتشينى وهو يسير خلفهما.

- إننى لا أشاطرك هذا الرأى.. إن المحكوم عليه بالإعدام يأكل كثيراً قبل إعدامه. هذا ما سمعته دائماً.

الفصل الرابع عشر

ذهب كريستوفر رين للحاق بهم فى البهو، فقابله جايلز بوجه عابس حاد القسمات وقد أشاح عنه بوجهه.

ورمق كريستوفر مولى بنظرة سريعة عبرت عما فى داخله لكنها أسرعت فى طريقها دون توقف لا تبالى بأحد.

توجهوا جميعاً كأنهم فى طابور عسكرى إلى قاعة الاستقبال حيث كان المفتش تروتر واقفاً فى انتظارهم.

كان الماجور متكالف متجهم الوجه على عكس المفتش تروتر الذى بدا أمامهم راضياً ومطمئناً.

وقال المفتش وهو يتأملهم جميعاً:

- لقد استدعيتكم هنا من أجل معاونتى فى إجراء تجربة أتمنى أن ننجح جميعاً فى أدائها على أكمل وجه.

فسألته مولى:

- وهل ستحتاج هذه التجربة إلى وقت طويل؟ إن لدى عملاً فى المطبخ أتمنى أن أفرغ منه حتى نجد ما نسد به رمقنا.

فأجابها:

- إننى أعـرف مدى ضـيق وقتك ياعـزيزتى، ولكن ألا ترين أن هناك مـا هو أهم من الطعـام.. مسـز بويل على سبيل المثال لم تعد فى حاجة إلى تناول الطعام.

فقال متكالف:

- إن هذه الملاحظة تفتقد الذكاء أيها المفتش.

- عفوا يامـاجور.. لكننى أريد أن يتعاون الجـميع معى فى هذه التجربة.

فسألته مولى:

- هل عثرت على أدوات التزحلق على الجليد؟

فتلون وجه المفتش تروتر وقال:

- كلا يامسز دافيز.. لم أجدها ولكننى أعرف من الذى أخذهـا ولن أوضح أكـثـر من ذلك علـى الأقل فى هذا الوقت.

فقال برافتشينى فى إلحاح:

- أرجـوك لا توضح أيـهـا المفـتش إننى أعـتـقـد أن معلومـاتك ينبغى أن تظل فى حـوزتك حتى نهـاية الفصل الأخير من تلك اللـعبـة القذرة إن هـذه هى أبسط قواعـد اللعبة.

- كلا.. هذه ليست لعبة كما تظن ياعزيزى.

- أتعـتـقـد ذلك.. إن هذه لعـبـة بالفـعل لدى بعض الناس.

فقالت مولى:

- إن القاتل يستمتع الآن بما فعل.

فنظر الجميع إليها وقد أحمرت وجنتاها. فعادت تقول:

- هذه عبارة قالها لى المفتش تروتر

ظهر الامتياء على وجه المفتش لكنه قال:

- إن مستر برافتشينى يتحدث عن اللعبة والفصل الأخير وكأننا نعـيش أحداث رواية بوليسـية لكن الواقع ياساده أننا نعـيش على أرض الواقع بعـيـداً عن الأحـلام والخيـالات والأوهام فالجريمة قد أبصرناها جميعاً أليس كذلك؟

فعلق كريستوفر وهو يضع يده على عنقه:

- لتكن الأحداث كما تشاء.. شريطة أن تقع بعيداً عنى

فقال الماجور:

- كفى سـخرية أيها الشاب.. إن المفـتش يحدثنا الآن عما يجب أن نفعله.

صاح تروتر قائلاً:

- منذ حوالى ساعة.. حصلت منكم على إقرارات تفيد اين كنتم أثناء مقتل مسز بويل، ومن بين هذه الإقرارات يتضح لنا أن مستر رين ومستر دافيز كانا فى غرفة نومهما أما مسز دافيز فقد كانت فى مطبخها والماجور كان فى القبو وأما مستر برافتشينى فقد كان يعزف البيانو فى هذه الغرفة.

وساد الصمت لحظات ثم استطرد قائلاً:

- هذه هى أقوالكم التى أدليتم بها أمامى.. والواقع أننى لا أملك دليلاً على صحتها فقد تكون بالفعل كما اعترفتم، وقد تكون كلها أقوالاً كاذبة أريد أن أقول: إن أربعة من هذه الإقرارات صحيحة وصادقة والمؤكد أن الشهادة الخامسة تخلو تماماً من الصدق والأمانة، فمن هو صاحب هذه الشهادة الكاذبة؟

وراح يجول ببصره عليهم واحد بعد الآخر. ثم أردف قائلاً:

- أربعة منكم قالوا الصدق أما الخامس فهو كاذب وأنا لدى خطة لكى أكشف النقاب عن هذا الكاذب وبالتالى سأصل إلى القاتل.

فقال جايلز فى استياء:

- ليس من الضرورى أن يكون الكاذب هو القاتل ربما هناك أسباب أخرى دفعته للكذب.

- إننى لا أعتقد ذلك يامستر دافيز.

- ولكن حدثنا عما تريده يامستر تروتر؟ إنك قلت منذ لحظات إنك لا تملك دليلاً.

- هذا صحيح ولكن لنفرض أن كل واحد قام مرة أخرى بتمثيل تحركاته أثناء ارتكاب الجريمة.

فغمغم الماجور متكاليف وقال:

- آوه هل تريد إعادة تمثيل الجريمة؟ هذه فكرة غريبة.

- أنا لا أقصد إعادة تمثيل الجريمة لكننى أريد إعادة تمثيل تحركاتكم أثناء وقوعها وكلامى واضح ياماجور.

- وماذا سينتج عن ذلك؟

- ساحتفظ بالإجابة على هذا السؤال لنفسى.

فقالت مولى:

- إذن أنت تريد أن نعيد تمثيل أدوارنا .

- نعم هذا ما أريده.

ساد الصمت وقد كان صمتاً رهيباً مشوب بالقلق والحذر، وهمست مولى لنفسها:

- هذا فخ.. ولكنى سوفى أرى كيف سيتمكن منى..

كان الجميع ينظرون إلى المفتش فى اشمئزاز بينما كانت دلائل النجاح والفوز ترتسم على وجهه الأمر الذى أثار الفزع فى نفوسهم.

وصاح كريستوفر قاطعاً هذا الصمت بقوله:

- إن هذه طريقة ساذجة فكيف لك أن تكتشف الكاذب؟

- أتعتقد ذلك ياكرستيوفر؟

قال جايلز:

- سنفعل ما تريد ياسيدى المفتش لعلك تنجح فى أداء مهمتك وتلقى القبض على القاتل.

قال المفتش:

- لقد أخبرنا مستر برافتشينى أنه كان يجلس هنا مستغرقاً؟ فى عزف البيانو فهلا تفضلت يامستر برافتشينى بأن تعرض علينا ماذا كنت تفعل بالضبط؟

- تحت أمرك ياعزيزى المفتش.

واتجه بخطوات رشيقة ناحية البيانو ثم استدار كأنه على خشبة المسرح، وهو يقول لهم وابتسامته مرسومة على شفتيه:

- إن المايسترو سيعزف أغنية القاتل المفضلة.

وراح يعزف بإصبع واحد مطلع أغنية «ثلاثة جرذان عمياء» وصاحت مولى وقالت: إنه يتمتع بما يفعل.

وهزت كلمات الأغنية أرجاء القاعة حتى خيم السكون عليها وكأن الموسيقى تنبعث من مكان آخر، ثم قال المفتش:

- أشكرك يامستر برافتشينى هل عزفتها هكذا فى المرة السابقة؟

- نعم لقد كررت مطلعها ثلاث مرات.

فتحول تروتر إلى مولى وسألها:

- هل تجيدين العزف على البيانو يامسز دافيز؟

- نعم أيها المفتش.

- هل يمكنك عزفها بنفس طريقة مستر برافتشينى

- نعم يمكنى ذلك.

- إذن اجلسى على البيانو حتى أصدر لك إشارة البدء فى العزف.

بدت ملامح الاستغراب على وجه مولى، شقت طريقها ببطء نحو البيانو واقتربت منه فقال برافتشينى معترضا وهو يغادر مكانه.

- ولكنى فهمت أن كلا منا سيؤدى نفس الدور ونفس العمل الذى كان يقوم، وقد كنت أثناء الجريمة أعزف على البيانو.

فقال المفتش:

- سوف يقوم الكل بأداء نفس الأعمال، ولكن ليس من الضرورى أن يؤديها نفس الأشخاص.

فقال جايلز:

- آوه لم أعد أفهم ماذا تعنى بذلك؟

- الغرض هو التأكد من صدق الإقرارات ولأنى سوف أحدد لكل منكم دوره ومكانه.. سوف تجلس مسز دافيز أمام البيانو ومستر رين سيذهب إلى المطبخ وليتك تابعت تطورات الطعام هناك، أما أنت يامستر برافتشينى فسوف تتجه إلى غرفة كريستوفر وبوسعك أن تصفر بشفتيك أغنية «ثلاثة جرذان عمياء» كما كان يفعل مستر رين وقت وقوع

الجريمة، وأنت ياماجور متكالف ستذهب إلى غرفة مستر دافيز يمكنك أن تفحص أسلاك التليفون، وأنت يامستر دافيز تنظر داخل الدولاب ثم تهبط درج السلم إلى القبو.

وعاد الصمت يخيم على أرجاء القاعة مرة أخرى ثم نظر إلى مولى من ركن عينيه وقال:

- أرجوا أن تبدئى فى العزف بعد أن تعدى من واحد إلى رقم خمسين ثم ابدئى على الفور.

ثم خرج فى أعقاب الآخرين.. وقبل أن يغلق الباب سمعت مولى صوت برافتشينى يقول:

- يبدو أن رجال البوليس يعشقون التزحلق على الجليد والألعاب المنزلية أيضاً.

الفصل الخامس عشر

راحت مولى تردد الأرقام فى أسى وغيظ . .

- خمسة وأربعون ستة وأربعون سبعة وأربعون ثمانية وأربعون تسعة وأربعون . . خمسون، وبدأت فى العزف وعادت كلمات الأغنية تهز أرجاء القاعة

«ثلاثة جرذان صغيرة

انظر إليها كيف تجرى»

وأحست مولى بأن الأرض تهتز من تحت قدميها وتذكرت كلمات برافتشينى أن الأغنية يعشقها الأطفال الذين يعشقون العنف والدم لكنه إحساس قاتل رهيب يبعث على الرهبة والخوف فى مصير مجهول وغامض.

وأثناء ذلك وصل لسمعها برافتشينى الذى تولى القيام بدور كريستوفر رين.

وفجأة ارتفع صوت الراديو فى الغرفة المجاورة.

ولابد أن يكون المفتش تروتر قد قام بدور مسز بويل

ولكن لماذا؟ وما الهدف من كل هذا؟

وأين المصيدة هنا؟ لقد كانت متأكدة أن هناك مصيدة

واحست بنسمة هواء باردة تضرب عنقها فنظرت وراءها بسرعة.

يبدو أن الباب فتح وأن شخصاً دخل الغرفة .

كلا . .

إن الغرفة خالية ولا يوجد أحد غيرها.

شعرت بالخوف وتوترت أعصابها.

هب أن شخصاً دخل الغرفة.

ماذا لو تسلل برافتشينى بخطواته الرشيقة

ثم وقف خلفها ومد يديه إلى عنقها وهو يقول .

«أتعرفين لحن جنازتك أيتها العزيزة؟»

لكنها هزت رأسها بعنف كأنها تحاول طرد هذه الأفكار الفزعة.

ما من شك أن الخيال قد حلق بها فها هى تسمع صفير برافتشينى ينبعث من الطابق الأول ولابد أنه الآن أيضاً يسمع عزفها ولكن لا . .

إنها لا تسمع برافتشينى

إنه لا يصفر

ترى هل هذا هو الفخ؟

أليس من الممكن أن يكون برافتشينى كاذباً حين زعم أنه كان يعزف؟ وربما كان فى غرفة مسز بويل لقتلها.

لقد بدت عليها ملامح الفزع حين أوكل إليها المفتش تروتر القيام بمهمة العزف على البيانو.

ترى هل أراد تروتر أن يكشف أكذوبة برافتشينى من أنه لم يكن يعزف على البيانو وقت وقوع الجريمة.

وفتح الباب فى هذا اللحظة فنظرت مولى خلفها بسرعة وظنت أنها ستجد أمامها برافتشينى فهمت أن تصرخ صرخة مدوية لكنها سرعان ما تنهدت بارتياح حيث كان الذى يقف أمامها هو نفسه المفتش تروتر.

* * * * *

الفصل السادس عشر

كانت مولى قـد انتهت من عزف المقطوعة للمـرة الثالثة

فقال لها المفتش:

- اشكرك يامولى.

كـانت تبدو عليـه عـلامات الارتيـاح والنجـاح والثقـة

فرفعت مولى يدها عن مفاتيح البيانو وسألته:

- هل نجحت فى مهمتك؟

- نعم وحققت ما أردت أن أحققه.

- من هو القاتل.

- الا تعرفينه يامسز دافيز . . إن الأمر فى غاية الوضوح وعلى فكرة . . اسمـحى لى أن أقول لك إنك حمـقاء إلى أقصى درجة لقد تركتينى أبحث عن الضحـية الثالثة المتوقعة وكانت النتيجة أنك تعرضت لخطر داهم

صاحت مولى:

- أنا؟ إننى لا أفهم ماذا تقصد؟

- أقصـد أنك كذبت علـى كما كـذبت مسـز بويل من قبل.

- أنا لا أفهمك.

بل تفهمين جيداً بدليل إننى عندما تحدثت معك بشأن حادث المزرعة تلعثمت وتوترت أعصابك.

نعم نعم.. كنت تعرفين كل شىء بدليل أنك قلت أن مسز بويل هى المسؤلة عن تهجير الأطفال إلى المزرعة لقد كنت أنت ومسز بويل من أهل تلك المنطقة لذلك حين فكرت فيمن يكون الضحية القادمة اتجه تفكيرى إليك لأنك كنت على علم بكل أحداث المزرعة. إننا رجال البوليس نتمتع بذكاء حاد.

فقالت مولى:

- أنت لا تفهمنى أنا لا أريد أن أتذكر ذلك الحادث أبداً.

فقال:

- بل أنا أفهمك تماماً.

- كلا

- بل أفهمك وقد كان لقبك قبل الزواج هو مس وينرايت أليس كذلك؟

- نعم هذا صحيح.

- ألست أكبر سناً مما تزعمين؟ فى عام ١٩٤٠ عندما وقع حادث المزرعة كنت تعملين معلمة فى مدرسة ابيغال أليس هذا صحيحا؟

- كلا.

- بل كنت معلمة بالفعل.

- أؤكد لك أننى لم أكن

- إن الطفل الذى مات بعث لك برسالة قبل موته.. لقد سرق طابع بريد وبعث بالرسالة فى طلب النجدة بعث بها إلى معلمته المحبوبة لعلها تنجده وتغيثه من العذاب الذى كان يتلقاه يومياً وسوء المعاملة التى روعته، إن من أول واجبات المعلمة أن تبحث عن أسباب غياب الطفل وما الأسباب التى دفعته للانقطاع عن المدرسة؟ ولكنك تجاهلت رسالته ولم تتحركى لإنقاذه.

فصاحت مولى وقالت:

- كفى كفى... إنك تتحدث عن أختى.. فهى التى كانت تعمل فى تلك المدرسة.. كانت ناظرتها وهى لم تتجاهل رسالة الطفل ولم تصم أذنيها عنه استغاثته لكنها

تعرضت للإصابه بالتهاب رئوى حاد فلم تتسلم رسالته إلا بعد وفاة الطفل. كانت أختى شديدة الحساسية فتأثرت بالحادث من الأعماق حتى أنها ماتت ألماً وأسفاً، ولذلك حرصت على تجنب كل شىء يذكرنى بهذه الأحداث المزعجة.

قالت ذلك بعد أن غطت وجهها بيديها وعندما رفعت راسها لاحظت أن تروتر يتفرس وجهها ثم سمعته يقول لها:

- إذن فقد كانت أختك.

وبدت على شفتيه ابتسامه غريبة ثم عاد يقول:

- لا بأس أختك أو أخى ذلك لا يقدم ولا يؤخر

وأخرج من جيبه شيئاً واتسعت ابتسامته تعبيراً عن رضائه وسعادته.

حدقت مولى فى هذا الشىء الذى أخرجه من جيبه.

وقالت:

- كنت أعتقد أن رجال البوليس لا يحملون مسدسات

فأجاب الشاب :

- إن رجال البوليس لا يحملون مسدسات يامسز دافيز

ولكنى لست من رجال البوليس . . أنا جيم شقيق جورج . . الطفل الذى مات بسبب قسوة الناس إنك ظننت أننى من رجال البوليس لأننى اتصلت بك من تليفون القرية المجاورة، وقلت لك إن المفتش تروتر فى طريقه إليكم وعندما حضرت إليكم قطعت الأسلاك التليفونية حتى لا تتمكنوا من الاتصال بمركز الشرطة.

فنظرت إليه مولى فى دهشة وذهول.

ورأت المسدس مصوبا إليها.

قال لها:

- لا تتحركى يامسز دافيز وإلا أطلقت عليك الرصاص

كانت الابتسامة لا تفارق وجهه ولاحظت مولى والفزع يتملكها أنها ابتسامة طفل.

كذلك عندما تكلم فقد كانت نبرات صوته تشبه صوت الأطفال.

وقال:

- أنا شقيق جورج الذى مات فى مزرعة لونجريدج لقد أرسلتنا المرأة الكريهة مسز بويل . . إلى تلك المزرعة وكانت زوجة المزارع شديدة القسوة علينا ولم يحاول أحد إغاثة الجرذان الصغيرة العمياء . .

فقررت أن أقتلكم جميعاً عندما أكبر، وأصبح رجلاً ورسخت الفكرة فى ذهنى منذ ذلك الوقت وقطب ما بين حاجبيه فجأة وأردف قائلاً:

- لقد ضايقونى كثيراً فى الجيش .. ولم يتوقف الطبيب عن إلقاء الأسئلة حتى ضاق صدرى منها، فأطلقت ساقى للريح وهربت فقد كنت أخشى أن تمنعنى الحرب من تنفيذ ما نويت القيام به.

والآن كبرت وصرت رجلاً والرجال يفعلون ما يريدون وتماسكت مولى بعد أن تجاذبت معه أطراف الحديث ثم قالت لنفسها: يجب أن أطيل الحديث معه حتى ينسى ما ينوى القيام به ربما يتوافد أحد من الأغبياء الآخرين قبل إتمام جريمته، ووجدت نفسها تقول له: اسمعنى ياجيم يجب أن تعلم أنه لا أمل لك فى النجاة بنفسك.

فاختقن وجهه وقال:

- إن أحدهم أخفى أدوات التزحلق على الجليد.

ثم انفجر ضاحكاً وقال مرة أخرى:

- ولكن لا باس فقد أخذت هذا المسدس من درج مكتب زوجك وإذا أنا أطلقت عليك رصاصة سيعرف البوليس أنه هو الذى ارتكب تلك الجريمة وما قبلها.

وعلى أية حال فالأمر لم يعد يهمنى.. لقد تمتعت بما حدث كثيراً. كان يجب أن ترى وجه تلك المرأة فى لندن عندما عرفتنى .. ثم وجه تلك المرأة البذئية التى ماتت اليوم فى تلك الأثناء عاد صوت الصغير الهادىء المخيف يهز أرجاء القاعة.

لقد كان بعضهم يصفر أغنية (ثلاثة جرذان عمياء)

واضطرب تروتر وارتعشت يداه فاهتز المسدس فى يده وصاح قائلا:

- اهبطى يامسز دافيز.

فى تلك اللحظة قفز الماجور متكالف الذى كان يقف خلف مقعد على مقربة من الباب وألقى بنفسة فوق تروتر وانطلقت رصاصة من المسدس استقرت فى صورة كانت معلقة على أحد الجدران.

لحظات وأقبل جايلز وهو يلهث أنفاسه وفى أعقابه كريستوفر ويرافتشينى وأمسك الماجور بتلابيت تروتر وصاح فى هلع:

إننى تسللت إلى الغرفة حين كانت مسز دافيز تعزف على البيانو.

لقد ساورنى الشك فى أمره منذ البداية.. كنت أعلم مقدماً أنه ليس شرطياً.. لأننى شرطى واسمى المفتش تانر.

أثناء اتفقنا مع الماجور متكالف على أن أحل محله هنا حيث رأت سكوتلاند يارد أن من الأفضل أن يتواجد أحد رجالها على مسرح الأحداث.

ثم استدار ناحية تروتر وقال له بأدب.

- هيا بنا لن ينالك أذى .. سوف تكون الأمور كلها على ما يرام.. وسوف نعتنى بك عناية كاملة.

فقال تروتر بصوت واهن كطفل تائه؟

- ألن يغضب جورج منى؟

فقال متكالف؟

- كلا.. لن يغضب منك بعد الآن.

ثم همس لجايلز وهو يمر به:

- إنه مجنون.

وأمسك بساعد تروتر وخرج به

وهنا قال برافتشينى وهو يتأبط ذراع كريستوفر رين:

- وأنت أيضاً ياصديقى تعال معى.

بقيت مولى وجايلز ونظر كلاهما إلى الآخر وسرعان ما ارتموا فى أحضان بعضهم البعض وصاح جايلز:

- هل أنت على ما يرام يازوجتى العزيزة؟ لقد انتهى كل شيء لقد كنا فى كابوس، ولكن حدثنى لماذا ذهبت إلى لندن فى ذلك اليوم؟

ذهبت لشراء هدية عيد زواجنا وأنا أيضاً ذهبت إلى لندن لنفس الغرض.

وفتح الباب ودخل منه برافتشينى وهو يقفز كالقط قائلاً:

- آوه إنه مشهد جميل وللأسف جئت لوداعكما فقد تمكنت إحدى سيارات الشرطة من الوصول إلى هنا ووافق المفتش تانر أن يصطحبنى معه.

ثم دنا من مولى وهمس فى أذنها وقال:

- إذا جاء ذات يوم طرد به كمية من الخردل الفرنسى وجوارب من النايلون فاعلمى أننى صاحب تلك الصفقة مع أطيب تحياتى بالسعادة والهناء.

وداعاً أيتها المرأة الرائعة.

وانحنى كعادته وقبل يدها باحترام وقال وهو يغادر الغرفة:

- لقد تركت على المائدة شيكا بقيمة الحساب يامستر دافيز قالت مولى وهى لا تصدق:

- خردل فرنسى .. جوارب نايلون.. ترى من يكون مستر برافتشينى هذا ياجايلز؟ أهو باب نويل؟

فقال جايلز.

- أعتقد أنه تاجر فى السوق السوداء.

وفى هذه اللحظات أطل كريستوفر برأسه من الباب وقال:

- ارجوا الا اكون متطفلاً لقد زكمت أنفى رائحة شيء يحترق فى المطبخ.

فماذا ينبغى أن افعل؟

فصاحت مولى فى فزع:

- آوه فطائرى تحترق.

وانطلقت كالسهم إلى المطبخ.

AGATHA CHRISTIE





أكثر
الروايات
مبيعا
فى العالم